

النشرة الأسبوعية

أكتوبر 2007

النص البشري في سوائه وإضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات أكتوبر 2007

المجلد 2، الجزء 2 - أسبوع 4. أكتوبر 2007

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية



النص البشري في سوائه وإضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات أكتوبر 2007

الفهرس

- الإثنين 01-10-2007:
- 148 31- الصوفية والفترة والتركيب البشرى (2)
- الثلاثاء 02-10-2007:
- 154 32- سر اللعبة
- الإربعاء 03-10-2007:
- 161 33- اللعب مع الأسوياء: خفيف خفيف!!
- الخميس 04-10-2007:
- 167 34- في شرف صحبة "نجيب محفوظ" (2)
- الجمعة 05-10-2007:
- 172 35- حوار/ بريد الجمعة
- السبت 06-10-2007:
- 191 36- الطفل: "مشروع" يحمل كل النقائص!!
فلا تحتزلوه !!
- الأحد 07-10-2007:
- 199 37- الخوف من الحب (1)
- الإثنين 08-10-2007:
- 212 38- الخوف من الحب (2)
- الثلاثاء 09-10-2007:
- 221 39- "طاغور" يرد "عليها" قبل أكثر من نصف قرن
- الإربعاء 10-10-2007:
- 223 40- التحكّم، والخوف من فقدة (2)
- الخميس 11-10-2007:
- 230 41- في شرف صحبة نجيب محفوظ (3)
- الجمعة 12-10-2007:
- 236 42- حوار/ بريد الجمعة
- السبت 13-10-2007:
- 249 43- العيد .. والناس.. والحب.. وربنا !
- الأحد 14-10-2007:
- 252 44- التحكّم، والخوف من فقدة (3)

- الإثنين 15-10-2007:
- 261 45- بعض وصف بعض مصر (1)
- الثلاثاء 16-10-2007:
- 267 46- من ملف القيم والأخلاق: بحث علمى شعبي !! (2)
- الإربعاء 17-10-2007:
- 271 47- لغة الطبقة "البيئة"، والقيم اللاأخلاقية
في الأمثال الشعبية
- الخميس 18-10-2007:
- 278 48- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاهاة (2)
- الجمعة 19-10-2007:
- 282 49- حوار/ بريد الجمعة
- السبت 20-10-2007:
- 289 50- التحكّم، والخوف من فقدة (4)
- الأحد 21-10-2007:
- 295 51- سؤال & جواب عن الإدمان
- الإثنين 22-10-2007:
- 301 52- التحكّم، والخوف من فقدة (5)
- الثلاثاء 23-10-2007:
- 307 53- "أدمغة" المدمن ومستويات الوعي (1)
- الإربعاء 24-10-2007:
- 314 54- "أدمغة" المدمن ومستويات الوعي (2)
- الخميس 25-10-2007:
- 324 55- قراءة في "أحلام فترة النقاهاة" (3)
- الجمعة 26-10-2007:
- 329 56- حوار/ بريد الجمعة
- السبت 27-10-2007:
- 340 57- التحكّم، والخوف من فقدة (الأخير)
- الأحد 28-10-2007:
- 346 58- السيرة الذاتية والإبداع (1)
- الإثنين 29-10-2007:
- 352 59- السيرة الذاتية والإبداع (2)
- الثلاثاء 30-10-2007:
- 359 60- حالات وأحوال (طب نفسى)
- الإربعاء 31-10-2007:
- 370 61-...في مثل "ذلك" اليوم: "وعد بلفور"

الإثني 22-10-2007

52-التحكُّم، والثُّم، وف من فقهه (5)

لعبتان: 7، 8 عن: التحكُّم، والخوف من فقده
اللعبة السابعة
أنا مش ممكن أسيب نفسي إلا لما أعرف إن.....

اللعبة الثامنة
اللى مانعنى أسيب نفسي هو

ضيوفنا الكرام هم نفس ضيوف حلقة "التحكُّم والخوف من فقده" (من برنامج "سر اللعبة" بتاريخ 30-3-2005) وقد نشرت الحلقات الأربعة الأولى بتاريخ (اللعبة 1 يومية 3-10) والثانية (لعبتان الـ (2،3) يومية 10-10) والرابعة (اللعبة الـ (4) يومية 10-14) والثالثة (لعبتان الـ (5،6) يومية 20 - 10)

السيدة: منى، كلية الفنون الجميلة

الأستاذ: فوزى، مدرس تربيته فنية

الأستاذة: سوزان، صحفية

والدكتور: هانى مدرس مساعد (طب نفسى) جامعة 6 أكتوبر
اعتذار واكتشاف

أثناء مراجعتى لليوميات، التى نزلت فيها هذه الحلقات متتابعة، اكتشفت أن اللعبة الخامسة نشرت مرتين فى يومى 10/14، 2007/10/20، بتعقيبين مختلفين ومناقشتين أيضاً، وذلك فيما عدا "نص اللعبة" و"آراء بعد اللعبة" (فهما تفريغ مباشر من شريط التسجيل)، ورغم خجلي من ذلك، ومراجعتى لهذا الخطأ واعترافى به حالاً، إلا أن ذلك أدى بى إلى اكتشاف أفرحتى، بقدر ما ألزمنى باعتذار واجب.

ملاحظات مبدئية عامة

قبل أن نعرض نص اللعبة نود إبداء الملاحظات التالية:

- 1- يوجد وجه شبه بين بعض الألعاب العشرة وبعضها البعض، لكن المؤكد أنه لا يوجد تطابق.
- 2- إن التوجه فى الألعاب العشرة كان واحداً، بمعنى الدعوة إلى (أو الإغراء بـ) "السيبان"، فى مقابل التحفظ أو الخوف من السيبان، مع وضع الشروط المناسبة، فى الحالتين.

3- إنه بالرغم من التشابه الظاهر، إلا أن ألفاظ كل لعبة كانت تعطي مساحات مختلفة من الحركة، وأيضاً تدفع في اتجاهات متنوعة.

والآن إلى نص اللعبة السابعة

أنا مش ممكن أسيب نفسي إلا لما أعرف إن (أو: إنى..)

ا/فوزى: يا مدام سوزان أنا مش ممكن أسيب نفسي إلا لما أعرف إيه العواقب، ابقى اعمل حسابها

أ/سوزان: يا منى أنا مش ممكن أسيب نفسي إلا لما أعرف إنى في موقف ما أخفش منه

أ/منى: يا دكتور هانى أنا مش ممكن أسيب نفسي إلا لما أعرف ان اللى قدامى ممكن يتوينى او يتقبلنى باللى جوايا

د/هانى: يا دكتور يحىي أنا مش ممكن أسيب نفسي إلا لما أعرف ان انتوا سايبنى سيان سايب(!)

د/يحىي: عزيزى المشاهد أنا مش ممكن أسيب نفسي إلا لما أعرف انى في وسط ناس، بيعملوا زي ومساعننى، وحايمتروا اللى يحصل أيا كان.

آراء بعد اللعبة

د/يحىي: حد وصل له حاجة جديدة

د/ هانى: وصلنى ان السيبان ممكن يؤضل منه احترام، رغم ان أنا سايب حاجة، طالع منى حاجة سايبه، ومش حاسيها يعنى، وكاسر بيها حاجات غير متوقعة، ممكن تساوي عند الآخر "احترام"

أ/سوزان: انا وصلتنى... كده إن كل إنسان محتاج لآخر محتوية

أ/سوزان: هو (الواحد) لما يسيب نفسه يجد الاخر محتوية فعلا

د/يحىي: هو الاحتواء وصل، والاحترام وصل، ومعاملة المثل وصلت، وإنها حاجة مؤقته مش على طول، الظاهر هانطلع من اللعبة دى مش (إن) المسألة "أسيب أو ماسبشى"، قد ما هى: "أسيب امتى"، "مدة قد اية" و"مع مين"، (أيوه) اسيب إمتى ومدة قد أيه ومع مين، "متبادل ولا لأ؟" "معاملة المثل" ولا واحد هايبص للتانى من فوق؟ إحنا عملنا اللعبة كويس اوى، على الله يكون وصل للمشاهد، يعنى هو (المشاهد) لو لعب معنا أو حتى بعد ما نخلص بنقول الألعاب يمكن يسيب (بالشروط دى).

د/يحىي: (يا) فوزى أنا وصلنى منك حاجة خضتنى شوية، حساباتك كانت باينة في اللعبة دى زيادة شوية، عاوز تحسبها بالضبط وبعدين تسيب؟ يبقى سيان إيه ونيلة إيه؟

ا/فوزى: انا كنت عاوز أعلق عليها برضه، هى وصلتنى أكثر من كده، يعنى مش من حقى إنى أسيب مهما حصل، بكل صدق يعنى.

د/يحىي: بعد كل ده؟!!!

أ/فوزى: وصلتني انى مش من حقى إني أسيب

المناقشة

- يبدو أن المشاركين بعد وصولنا إلى اللعبة السابعة، قد تعودوا فكرة اللعبة، فأصبحت الاستجابات أكثر تلقائية، وربما أعمق دلالة.
- إن استعمال تعبير "أعرف إن" استدعى الحسابات المنطقية والمُعقَّنة بشكل يعطى للعقل الواعى دوراً أكبر فى التحكم (فوزى: أعرِف العواقب أعمل حسابها، سوزان: أعرِف إني فى موقف ما أخافش منه).
- إن استدعاء الآخر كشرط للسيبان (الآخرين) كان وارداً حتى بالحسابات العقلية المنظمة (ثنى: أعرِف إن اللي قدامى ممكن يجتوينى، د. هانى: أعرِف إن انتو سايبنى أسيب، د. يحيى: أعرِف إني فى وسط ناس زي).
- إن مسألة العلاقة بين القدرة على التحكم والاحترام، وبين السماح بالسيبان دون فقد الاحترام، كانت متداخلة ومفيدة، سواء فى اللعبة أو فى الآراء بعد اللعبة، فنلاحظ أن د. هانى الذى لم يذكر الاحترام باللفظ فى استجابته، وقد كان هو أول المعلقين، راح ينبه إلى أن "السيبان يوصل منه احترام"، فنرجع للأصل وهو يلعب ونجده كاد يستأذن الآخر قبل أن يسبب "إلا ما أعرِف أن انتو سايبنى" وفى بقية تعليقه "حاجة سايبة... كاسر بيها حاجات غير متوقعة، ممكن توصل للآخر الاحترام"، وصلني أنه يريد أن يؤكد أن السيبان الذى سحوا له به، قد أدى إلى جرعة من الجسارة فرضت عليهم احترامه.

ثم ننتقل إلى التعقيب فردا فرد

فوزى

بدا أكثر وضوحاً من حيث قوة دفاعاته الجاهزة، وحساباته التحفظية سواء أثناء اللعب "أعرِف إيه العواقب، إمتى أعمل حسابها" أو بعد اللعب "... يعنى مش من حقى إني أسيب مهما حصل بكل صدق يعنى.

سوزان

إذا جمعنا استجابة سوزان أثناء اللعب على تعقيبها بعده، وجدنا أنها فى اللعبة استشعرت أن هناك ما يخيف، فلما جاء التعقيب حددت حاجتها كمصدر أمان من خلال "آخر يجتويها"، وكأن هذا الاحتواء هو الذى يعطيها الأمان الذى يسمح لها "أن تسبب نفسها".

منى

... نرى أن "منى" هى التى حددت البعدين معاً، (أ) "وجود آخر، (ب) وقدرته على احتوائها"، (مقارنة بسوزان) ثم إنها أضافت بعداً يخفف من احتمال أن يكون الاحتواء "اعتمادية رضيعية"، بأن أضافت "... يقبلنى باللى جوايا، هنا يرتقى معنى الاحترام بما يُطمئن أكثر إلى أنه ليس هرباً أو عودة لرحم مغلق".

د. هاني

أثناء "اللعب" استسمح د. هاني "الآخر" قبل أن يسمح لنفسه بالسيبان، بدا أن عليه من سماح هذا الآخر وإن كان تعبيره متداخل غير واضح، لكنه -كما ذكرنا في التعقيب العام - ربط ذلك بتوصيف هذا الفعل بأنه مجلبة للاحترام، وهذا عكس الشائع من أن السيبان هو "تسبب أكثر منه حرية، فالتسبب لايدعو للاحترام

د. يحيى

اشترط د. يحيى ليسيب نفسه شروطاً أكثر (أ) وجود آخرين (ب) يمارسون نفس المخاطرة والسماح (ج) ومخترمون نتيجتها، سواء كانت نتيجة سيبانه هو، أو سيبانهم هم (ماداموا يفعلون نفس الحكاية -معاملة المثل)

أما تعقيباته التالية فبدت بصفته "مسئولا" عن الحلقة وعن اللعبة أكثر منها بصفته الشخصية، وقد جعلته صفته كمسئول يلخص الموقف ونحن نقترّب من نهاية الحلقة وهو يتكلم بصفة الجمع: بأننا حتى هذه اللعبة قد انتبهنا إلى ظروف وشروط السيبان من حيث:

(أ) أنها ليست فقط "سيب وأنا أسيب" وإن كانت جزئياً كذلك

(ب) وأنها أيضاً مسألة "توقيت" و"مدة"، أسيب إمتى ولمدة قد ايه"

(ج) وكذلك هي فيها احتمال تحضير للآخر، وليس مجرد حضوره (د) وأخيراً رجع د. يحيى إلى "سيب وأنا أسيب"، ليؤكد فكرة ضمان معاملة المثل، مثل السيبان بالدور، (التبادل) حتى نتجنب إصدار الأحكام على بعضنا البعض "...ولا واحد حايبص على الثاني من فوق"؟! "

اللعبة الثامنة

اللى مانعنى اسيب نفسى هو

أ/منى: يا سوزان اللى مانعنى أسيب نفسى هو احترامى لنفسى

أ/سوزان: يا أستاذ فوزى اللى مانعنى أسيب نفسى هو انى مش عارفة الآخر

أ/فوزى: يا دكتورهانى اللى مانعنى أسيب نفسى هو احتياجى اكثر من خوفى

د/هانى: يا دكتور يحيى اللى مانعنى أسيب نفسى هو "انا"

د/يحيى: عزيزى المشاهد اللى مانعنى أسيب نفسى هو انى خايف من نفسى أوى، إنى عارف شوية كتير

آراء بعد اللعبة

أ/منى: حنة الخوف دى، الواحد (خوفه) من نفسه ومن تصرفاته، هى تبقى مع نفسه صادقة اكثر من لو حاطلع مع حد قدامه.

د/جيجي: حد وصله حاجه ثانية جديده

أ/منى: هو كلمة الخوف حضرتك لما قلتها حسيت بخوف، الواحد (بحسها) لما ساعات يقعد قدام نفسه. . .

د/جيجي: يارب يكون أمحرك الوعي . . . (عندى) أنا باستغرب على نفسى لما أنا اللي محضرالكلام ده ولما (آجى) ألعبها معاكم كاني بالعبها لأول مرة، أنا مش بس محضره دا أنا عايشه بقالى 50 سنة، ما أنا باعمل ده مع العيانيين بتوعى، صحيح ماباسبشى نفسى علشان اقدر أشيلهم، إنما هما يا عيني بيسببوا، وأنا باسبب وإلا مايطمنوش ليا، بس هو اكتشاف إني طلعت خايف بصحيح

المناقشة العامة

نلاحظ أن الآراء والتعقيبات على اللعبة كانت أقل من المعتاد، وربما حدث ذلك لأن الفكرة العامة مع التقدم المضطرد حتى اللعبة الثامنة أصبحت تصل إلى المشاركين أسهل وأوضح بما لا يحتاج إلى تعقيب مطول، بمعنى أن هذه اللعبة كانت تأكيداً لما تم إنجازه من اللعبات السابقة بشكل أو بآخر .

ثم إن مسألة الاحترام التي ناقشناها في اللعبة السابقة، حضرت هنا من جديد لى وهى تلعب "اللى مانعنى هوا احترامى لنفسى" أما تعقيبها وهى الوحيدة التي عقبته هنا، فيمكن أن نربطه برؤيتها وتفضيلها لصدقها مع نفسها عن صدقها أمام الآخرين، مما يشير إلى حرصها على احترام نفسها الذى ورد أثناء لعبها.

التعقيب فردا فردا

منى

أحسب أن ما جاء عنها في المناقشة العامة كافياً

سوزان

كانت استجابتها في اللعب أقرب إلى اللعبة السابقة وما قبلها

فوزى

انتقل خطوة إلى مستوى أعمق وهو يرر دفاعاته، فبدلاً من أن نشاهد الدفاعات تغطي أغلب محاولاته كما في الألعاب السابقة، ما هو يتعرف عليها، فيعلن سببها، وهو حق مشروع - وهو يقارن هنا بين **عنف احتياجاته ومساحة خوفه**، مما يجعلنا نستنتج إمكانيه النظر في **كيف تساعد هذه الألعاب على التقدم بهدوء إلى بصرية أكثر نفاذاً كما حدث مع فوزى.**

د. هانى

حضرت "الأنا" (الشباب المتزن المعقلن الطبيب النفسى) لتعلن بأنها هي المانع فتماهت الأنا، مع تعقله السابق (وأيضاً مع عقلنته جزئياً)

د. جيجي

لا يترك د. جيجي فرصة إلا وهو يعلن عن خوفه من رؤيته

المتزايدة، والتي يبدو وأنه يعرف كيف تفتحها من خلال تمهيه مع مرضاه، وهنا هو يعرض لمشكلتين منهجيتين

الأولى: (مكررة نسبياً) أن معد الألعاب: يعيد اكتشافها - واكتشاف نفسه - وهو يلعبها

والثانية: أن الطبيب النفسى أثناء ممارسته لمهنته مجدية، لا يستطيع أن "يسيب" نفسه على راحتها (وإلا فكيف يستطيع حمل مسؤولية مرضاه بما هم)، وفي نفس الوقت: هذا الطبيب لا يستطيع إلا أن يسيب نفسه، وإلا ستوسع المسافة بينه وبين مرضاه، فلا يطمئنون إليه.

إن ضبط الجرعة بين درجة السيبان، ودرجة التماسك، وأيضاً بين الانتقال من السيبان إلى التماسك حسب مسار العلاج إنما تتوقف على خبرته، المفروض أنها تتزايد بإزدياد ممارسته.

- وجب الاعتذار للتكرار، لكن الاكتشاف الذى أفادنى هو أن التعقيب الذى قمت به سواء عن الاستجابة ككل، أو من قراءة استجابة كل مشارك على حدة كان هو تقريباً، وإن اختلفت الألفاظ وتنوع الترتيب، أنا شخصياً الذى كتبت التعقيبين بعد أن أبلغتني سكرتاريتى - خطأ - بأن هذه اللعبة الخامسة لم تكتب من قبل ولم تنشر، فاستسلمت لهم بسبب العجلة والالتزام اليومى، وقد أعدت كتابة التعقيب وأنا أشك فيما أبلغونى إياه، الاكتشاف الذى اكتشفته الآن، وأنا أعتذر، هو أننى وجدت في هذا الخطأ فرصة لاختبار مدى المصادقية في المنهج، وخرجت من ذلك بأنى رضيت عن موقفى، وعن سلامة منهجى، إذ وصلت لنفس الاستنتاجات في ظروف مختلفة، وأوقات متباعدة، الحمد لله.

ملحوظة: لا أعرف كيف لم ينبهنى أحد الأصدقاء الزوار لهذا التكرار في مراسلاتهم، لكن لعل معهم عذرهم، ربما تصوروا أن الخطأ جاء أثناء بحثهم، وليس بسبب التكرار الناتج عن خطئى أنا.

- فرحت - لا أعرف لماذا!- حين وجدت السيبان كلمة عربية فصحى" جاء في الوسيط

ساب: سيباً وسيباناً، ذهب حيث شاء

ساب فلان في كلامه أفاض فيه من غير روية

سيبه: تركه وخلاه يسبب حيث يشاء

- بعض المشاركين التقطوا آخر كلمة على أنها "إن" (إلا لما أعرف "إن"...). في حين التقطها آخرون على أنها "إنى" (إلا لما أعرف "إنى") وقد تركنا الاستجابات كما هى.

- نعى بالتعقل، ترجيح حكم العقل الحكيم reasoning أما العقلنة فنحنى بها فرط استعمال المنطق العقلى على حساب الحدس والوجدان والمعايشة الكلية intellectualization

53- "أدمغة" المدمنين ومستويات الوعي (1)

مقدمة

لأول مرة منذ صدرت هذه النشرة اليومية، يصدر هذا الباب الذي كنا نسميه "حالات وأحوال"، وكان المتبع فيه أن نعرض مقتطفاً من "أحوال" حالة بطريقة ليست تقليدية، ونحاول أن نقرأ "معنى ما يقوله المريض" بأعراضه ومن خلال أعراضه، ولا نكتفى بتسميتها (هلاوس - اكتئاب . . . الخ) بل إننا كثيراً ما كنا نحاول أن نتجنب تسميتها، كما نتجنب عادة وضع لافتة تشخيصية معينة، ما أمكن ذلك، حتى لا يختزل المريض إلى ما يُسمَّى به مرضه.

المريض - أى مريض- هو عالم زاخر "بما هو"، يقول بأعراضه وبفشله وبتفسيخه أحياناً أبلغ وأعمق مما يقوله السليم، ومن الأقوال التي تستعمل بسطحية شديدة قولهم "خذوا الحكمة من أفواه المجانين" وأظن أنه قد أن الأوان أن يتعدّل هذا المثل إلى قول آخر يقول "اعرفوا أنفسكم من خلال صدق المجانين" أو "أكملوا وجودكم من دروس المجانين"، أو أتموا مشوار المجانين بشطارتكم ماداموا هم قد أجهضوا -مسيرتهم- " . . . الخ.

المهم هنا هو الباب يعود، ونأمل أن يكمل ما بدأناه، وأن يتطور إلى مايفيد .

قبل أن نبدأ في عرض "بعض" حالة اليوم نود أن ننبه إلى ما يلي :

أولاً: إنها أحوال أكثر منها حالة، وأحوال هذه كلمة يستعملها المتصوفة المبدعون الذين نتعلم منهم وهم على في ذروة وجدّهم، كما نتعلم من المجانين وهم يغوصون إلى جُبِّ كهوف ذواتهم، ما لم نلحقهم فيستجيبون

ثانياً: إنها "بعض حالة" وليست كل الحالة ، ونحن نريد أن نتعلم ونعلّم الناس محاولة فهم بعض لغة "المرض" قبل ومع لغة "المرضى"، مهما كانت موجزة أو مجرد عينة .

ثالثاً: إننا لن نتوقف كثيراً عند الأسباب كما يجب كل الناس أن يفعلوا، ومثلهم يبدو التحليليون خاصة، وأغلب المعالجين، والأطباء النفسيون، فتقلب المسألة من البحث عن

سبب لا يمكن إزالته عادة (فهو في الماضي غالباً) إلى تبرير والتماس العذر، مما قد يعطل مسيرة العلاج، ولا يؤدي بنا إلى فهم المواجهة الحالية التي ننطلق منها نحو الشفاء.

رابعاً: إن اسم المريض الموجود هنا مختلف طبعاً عن حقيقة اسمه، كذلك، كل الأسماء والتفاصيل الأسرية وبعض التاريخ، حتى لا يمكن التعرف على صاحب (أو صاحبة الحال) بأى حال من الأحوال.

خامساً: إن لعرض كل حالة أو أية أحوال "غرضاً خاصاً" من خلال "فرض خاص"، وننصح الزائر القارئ ألا يغلبه حب الاستطلاع، فتشغله تساؤلات بعيدة عن المعروض، لأن المسألة ليست جمع معلومات، أو رص أسباب كما ذكرنا، بقدر ما هي "عرض لعينات"، "وتحديد معنى"، "وإعمال فكر" "وتشغيل حدس" وكل ذلك لإمكان الإحاطة بأبعاد "الفرض" المعروض.

والآن إلى الحالة

هو شاب -لننطلق عليه اسم "طارق"- في السابعة عشرة من عمره، الثالث من ثلاثة أخوة وأخوات أشقاء، طالب في الثانوية العامة، له أخ واحد أكبر منه (يعاني من نفس المشكلة)، وهو من الطبقة المتوسطة الأعلى التي كوّنها عائلتها نفسه وأعال أسرته بالشطارة، والسفر، والصبر، والمحاولة، والخطأ، ثم التزييح، والأمل، والتراخي.

الفرض

أولاً: إن كلمة "دماغ" التي يستعملها غالبية المدمنين، إنما تشير إلى **تغير كيميائي** (نوعي) في الوعي، مع درجة من "الوعي" (الدراية awareness) بهذا التغير (الوعي بالوعي).

ثانياً: إن تعدد مستويات الوعي البشري (المقابل لتعدد تركيبات منظومات الدماغ = المخ)، وأيضاً المقابل لتعدد الذوات داخلنا، هو الذي يسمح بهذه النقلة من مستوى وعي إلى مستوى وعي آخر، وأيضاً يسمح بالتوليف الممكن بين بعض مستويات الوعي ليحقق من خلال ذلك **تغير كيميائي** معين، كأنه **وعى آخر يتخلق**.

ثالثاً: المفروض أن هذا التغير هو أمر طبيعي، ويتمثل أساساً في تغير حالة الوعي بين النوم اليقظة، وأثناء النوم بين حالة الحلم واللاحلم، وغير ذلك ما سيأتي ذكره، وحين لا تتاح الفرصة لكل هذا، يسود **مستوى وعي واحد طول الوقت**، وهذا المستوى إما أن يتملّب، أو يبهت، أو يُبَرْج بانغلاق دوائره إلا في قطاع **الاغتراب والأداء اليومي الخالي من الطزاجة والتجدد**.

عرض المقتطفات الداعمة للفرض

إن هذا الشاب، في هذه السن الباكرة استطاع بدقة متناهية وصف تنويعات وتشكيلات من **التغير الكيميائي للوعي**، وهو ما أسماه (كما يسميه أغلب المدمنين) "دماغ"، هذا ما استنتجناه من شكواه ونص أقواله كما يلي:

(1) أنا من زمان كنت باشوف "خالى" الصبح يقعد يتخانق ويزق ويسب الدين، وبالليل كان لما يشرب حشيش كان بيتحول ويبقى إنسان تانى خالص، أنا ساعتها ماكنتش أعرف إن دى مخدرات، وبدأت أعرف إن الواحد عنده دماغ تانية غير دماغه .

هذا الشاب بدأ التعاطى من سن 12 سنة (أى قبل تسجيل هذا التاريخ الذى يحكيه بخمس سنوات)، ونلاحظ كيف، وهو فى هذه السن المبكرة، لاحظ الاختلاف الواضح بين حالة خاله وهو بدون مخدرات، وحالته بعد التعاطى، مما جعله يرجع من تلقاء نفسه أن المخ البشرى له أحوال نوعية مختلفة (غير قلب المزاج، واختلاف العواطف، وتبديل الآراء، وهذا الكلام التقليدى الطبى النفسى المعاد) عرف الصبي هذا التغير من خلال تغير أحوال حالة خاله كلها على بعضها، وهو ما نفترض أنه يقابل الوعى، كما نحب أن نقدمه، وهو هو ما أسماه هذا الشاب لاحقاً (فى الأغلب) الدماغ ..

"بدأت أعرف إن الواحد عنده دماغ تانية غير دماغه".

فى هذه السن المبكرة دعونا نفترض أنه مع دقة الملاحظة التى يحكى بها هذا الشاب، لو كنا أحسننا الاستماع إليه، ومن ثمّ إلى حاجته إلى اكتشاف هذه الدماغ التانية من خلال طرق طبيعية، تعرف النقلة النوعية فى المراهقة كما تعرف كيف يمكن أن يعمل الشباب (وكل الناس) دماغاً (تغيراً فى الوعى) من خلال حياة متحركة صحيحة، يعملون دماغاً أى يسمحون بحركية نضج، وطزاجة إدراك، ونضج فكر، يتيح تنقلاً بين وعى ووعى، أقول لو أننا عرفنا كيف يمكن لهذا الشاب أن يستجيب لملاحظته تلك **"إن الواحد عنده دماغ تانية غير دماغه"**، لما كان هذا الشاب وصل إلى ما أراد معرفت هكذا:

(2) وكنت عايز أوصل للدماغ دية، وأعرف هى إيه الدماغ إلى بتحول البنى آدم بالشكل ده،

أعيد: لو أننا عرفنا هذا الصبي كيف يصل إلى هذه الدماغ التانية بطرق تربوية حياتية حركية جدلية إبداعية سليمة، لما احتاج إلى دخول إلى مغامرة هذا التحريك الكيميائى بإقحام سموم الإدمان من خارجه إلى داخل جسده ووجوده .

لم نفعل،

فماذا فعل هو لاكتشاف سرّ هذه الدماغ التانية فى هذه السن المبكرة؟

(3) فقررت أسرق سيجارة من خالى وأشربها وكان عندى 11 سنه، وفعلاً شربتها وعملت لى دماغ 24 ساعة، وكنت مبسوط جداً حسيت إنى إنسان تانى وفعلاً العيشه إتحولت.

لاحظ هنا تعبير: **"حسيت إنى إنسان تانى، وفعلاً العيشه اتحولت"**.

هذا وهو مازال في الحادية عشرة .

هل هناك لدينا فعلا وسيلة لتحويل العيشة "نوعيا" إلى أحسن في هذه السن في الحياة العادية؟.

أظن الاجابة بالنفى، وهذا لا يبرر أن نستسلم لذلك، (وإلا فلماذا هذه اليومية؟)

فإذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نعيد النظر في نظم التربية، وعدد الفرص، ومدى المساحة، وحركية الخيال في هذه السن بالذات، أليس كذلك؟.

(4) وبدأت أعرف خمرة وبقيت أشربها مع الحشيش.

مع تغير المواد وخلطها حسب الظروف والتجارب يتغير الوعي (بمصل الدماغ) فيحقق كل واحد من هؤلاء المبتدئين التغير المناسب الذى يسعى إليه في غموض مستطع، ليكتشفه بالصدفة، أو بالتجربة والخطأ، أو بالتقليد أو بالتباديل والتوافيق.

تتواصل هذه المحاولات مع هذا الفتى منذ هذه السن الصغيرة وهو يكتشف الاختلافات النوعية بمنتهى المهارة .

(5) وفضلت كده حوالى سنه كل ما "أعرف دماغ" بابقى عايز أعرف "فيه تانى ولا لأ".

يلاحظ هنا أن استمرار الوعي الجديد "المصنوع" هو هو، وتكراره كما هو، يقترب بهذا الوعي المصنوع من نوعية الوعي العادى المغترب الذى هرب منه هذا الفتى بالتعاطي، فالصبي هنا لا يبحث فقط عن نوعية وعى بذاتها يريد أن يصل إليها ويكررها، بل هو دائم التطلع إلى المجهول بتجديد غير مألوف لوعيه، ليس بالضرورة إلى الأحسن أو الأعنف بل مجرد "وعى آخر"، نوع من الدراية والإدراك مختلف عما هو فيه "أعرف فيه تانى ولا لأ".

(6) أول ما ضربت "البيسه" ضربتها حقن لاشم و لا حرق، وعرفت الدماغ العالیه و(عرفت) يعنى إيه: شخصيتي كلها إتغيرت.

مع تمادى التباديل والتوافيق بدأ طارق يستطيع أن يعطى أحيانا اسما لكل حالة من حالة الوعي التى يحققها، وقد وصل هنا إلى اسم من الأسماء الشائعة وهو "الدماغ العالیه" .

هناك مستوى من الوعي الإبداعى يسمى "الوعى الفائق" وهو الذى يشتمل على أكثر من مستوى معاً في جدل خلاق فيكون الإبداع،

هذه التسمية "الدماغ العالیه" التى أطلقها طارق على آخر ما وصل إليه من توليفات الوعي هي - في الأغلب- الوجه السلى لنفس الظاهرة، أى أنها تمثل أكثر من مستوى وعى "تنشط معاً"، ولكن دون توليف باق قادر على إفراز

أى وجود أو نتاج إبداعي، ومن صفات هذه الدماغ العالية (وأيضا الوعى الفائق فى الإبداع) أنها تغمر الوجود كله، فهى ليست تغيّرا فى العواطف أو فى الأفكار أو فى الإدراك وإنما فى "كلية التواجد" التى عبر عنها هذا الفتى بـ "... وعرفت الدماغ العالية (عرفت) معنى إيه: شخصيتى كلها أتغيّرت".

ثم يتمادى فى الوصف:

(7) حسيت إني باشا، وإن الدنيا كلها تحت رجليا وعرفت معنى إيه "طعم الحاجات"، وعرفت إنه مفيش دماغ بعد كده وبطلت الخمرة.

لاحظ تعبير "طعم الحاجات"

الأرجح أنه مع هذا التغير النوعى فى الوعى نوع الإدراك ككل، حتى تصل التجربة بصاحبها إلى "ذروة ما"، يعرف من خلالها فيم يستمر، وماذا يدع (هنا طارق استغنى عن الخمر)

لكن مهما كانت هذه الذروة فهى إذا استمرت وتكررت لا تصبح "هى التى هى"،

إن تغيير الوعى، وهو الذى يسعى إليه طارق، وأمثاله، دعونا نسميه "التغير فى ذاته" هو المهم وهو الدماغ، وطارق هنا يفرق بين تحقيق وعى آخر يتكرر وقد يثبت فيبوح، وبين التغير فى ذاته لذاته.

(8) .. والدماغ بدأت تتقل، ومغديتش زى زمان، فبدأت أخذ حاجات تانية، علشان أوصل لنفس الدماغ، وبدأت أخذ ابزبل وترامادون عشان أوصل لنفس الدماغ، وفجأة شهرالعسل خلس. . . "

مع استمرار التعاطى لنفس التوليفة يختفى فعل "التغير" حتى لو بقى مستوى الوعى الجديد ولا يصبح "زى زمان"، طارق يضيف هنا أنه لكى يصل إلى مايريد عليه أن يقوم بتجديد الصنف أو بخلطة بمواد جديدة لتحقيق الدماغ الذى أصبح معنى "التغير"، إن الهدف -كما ذكرنا- لم يعد إبدال وعى بوعى، وإنما هو التغير نفسه، فهو الذى يعطى للتعاطى معنى، وطارق حين أضاف كل ما أضاف من توليفات جديدة، لم يحقق ما أراد من تغيير مضطرب طول الوقت، لم ينجح، وربما هذا ما أسماه (فى هذه السن) "فجأة شهر العسل خلس".

ثم لجأ طارق إلى محاولة أخرى تكاد تثبت الفرض الذى نعرضه هنا بشكل مباشر، لجأ إلى الانقطاع عن التعاطى، ليس كخطوة أولى فى العلاج، أو بداية توبة نصوح، وإنما ليعاود الضرب من جديد، فيستشعر التغير (أى يحقق الدماغ= حركية تغيير الوعى)

(8) كنت أريّج خمس أيام، أستحمل أعراض الانسحاب، ... أرجع أضرب تانى، واكتشفت ان ده كويس جداً.

هكذا يصر هذا الصبي أن يعلّمنا بذكاء فائق أن المسألة ليست هذه المادة أو تلك بقدر ما هي تغير الوعي، فكأنه هو - بتلقائية "التجربة - والإعادة"، يتوقف ويتحمل أعراض الانسحاب، لا ليكف عن التعاطي، ولكن ليعود فيشعر بالتغير الذي يسعى إليه، إذا ما عاد إلى الضرب، وقد تحقق له ما أراد، وكأنه عالم يبحث ليكتشف: وما هو قد اكتشف إن ده كويس جدًا.

(8) علشان ده كان بيخليني أوصل لنفس الدماغ اللي كنت بدور عليها،

مرة أخرى: فهو مازال يبحث عن نوعية تغير الوعي المتميزة بنقله ماء، وليس على حالة وعى بذاته.

ثم يستمر الحال ويتباعد التغير، وتصبح تلك المواد جزءاً ثابتاً من الوعي الجديد الذي يبدأ في "الجمود"، لأنه يستقر ويسكن بفعل هذا الانتظام المدعم بالمواد هي هي، فتقلب وظيفة المواد التي كانت تقوم بالتغير إلى أن تقوم بمزيد من التماسك "في الحل" وهي تعجز عن التغير كما كانت سابقاً.

(8) بقيت باضرب في الفترة الأخيرة علشان أمسك نفسي، ماكنتش باعمل دماغ.

حين تتحول المواد الجديدة هكذا لتصبح مهمتها هي لتثبيت حالة ماء، وفي نفس الوقت يصبح الاستغناء عنها مهذاً بالتأثر حتى الجنون، يضطر المدمن إلى تعاطيها ليتماسك: "يمسك نفسه" وليس ليتعتج الجمود كما كان يفعل في البداية.

(9) أنا طول الوقت عندي أفكار ضرب، وفاكر إنى لما أخرج من هنا لو ضربت حامل نفس الدماغ بتاعت زمان، أنا كنت دايماً عارف إنى مليش غير البودرة.

مع دخوله للعلاج وامتناعه -قسراً غالباً- عن التعاطي، يفقد طارق دماغه (حركية التغير) التي كان يصنعها بنفسه، إذ يفقد فرصة معاودة تجديد ألعابه لتغير الأدمغة (حالات الوعي) الواحدة تلوه الأخرى، وما هو ينتظر في شوق خروجه، ربما لأنه ينتظر أنه حين "يضرب" بعد خروجه، وقد انقطع طول هذه المدة، سوف يصل إلى وعى جديد تماماً، كأنما يضرب لأول مرة، فيظل -أثناء العلاج- يحافظ على "أفكار الضرب" حين تتاح الفرصة من جديد

وحين تطول به المدة، ولا يحقق كل ما يريد، يبدى تحركاً بطيئاً كأنه يحاول أن يأخذ فرصة التوقف، ويلوح له أنه: "كفاية كده"، لكنه يظل يتغزل في هذا الوعي الآخر.

(10) نفسي أبطل وأعيش باشا، مفيش حاجه قهراني ولا مسيطره عليا، بس الدماغ التانيه بتاعتي حاتوحشني جداً. نفسي أبطل أنا، وأكمل حياتي محترم،

وبرغم هذه الأمنيات، فإنه يعلن بشكل مباشر قوى أن ثمّ خطأ في محاولات العلاج التسكينية السطحية التي تتنافى مع خيال هذا الصبي "الذي التقط عمق الطبيعة البشرية في إيقاعها الحيوى النابض".

(11) أنا مش متخيل إن أنا حاعيش بدماغ واحده، بعد ما كان عندي دماغ حشيش ودماغ أبتزيل ودماغ ترامادول ودماغ بودره سم، أسيب كل ده وأعيش بدماغ واحده دماغ مِبْطَلْ؟! وبعد...

هل نصدقه فنتعلم ضرورة تعدد مستويات الوعي حتى نكون بشرا؟!!

وحتى لا نضطر إما إلى سجن واحدة ثابتة، عادية، ماسخة، زائفة؟

أو نضطر إلى تحريك مصطنع بسموم تهدد إما بالتناثر وإما باغتراب حامد جديد؟

التعقيب الختامى

* كم منا بالله عليكم يعيش بدماغ واحد؟ دماغ مِبْطَلْ؟
* أم أننا نعيش "في السلام" منذ البداية إذ "نبطل" قبل أن نتحرّك أصلاً؟

* وهل خلّقنا الله بدماغ واحد (مِبْطَلْ) أم بعدة أدمغة.
* ومادام الحصول على دماغ عن طريق هذه السموم له كل هذا الثمن الغالى، فكيف يمكن أن تحصل "بقية أدمغتنا" على حقها في التواجد، والتبادل، والتنشيط، والإبداع، والتراجع، والمحاولة، والخطأ؟

تلك هي المسألة الصعبة!

وغداً نلتقى بطارق أيضاً في "حركية خياله" مع اختبار إسقاطى

- البودرة

الإثنين 24-10-2007

54- أدمغة المدمن ومستويات الوعي (2)

طارق "في حركية خياله" مع اختبار إسقاطي قدمنا أمس بعض أحوال حالة "طارق"، واستنتجنا منها احتمال تحقيق فرض: أن كلمة "دماغ" التي يستعملها المدمنون، قد تشير إلى "تغير نوعي في الوعي"، الأمر الذي هو - في الأحوال الصحية وبالطرق السليمة - دليل حركية النمو، وحيوية الحياة، والذي إذا حُزمتنا منه، لجأ بعضنا إلى تحقيقه "بتحريك مصنوع"، بسموم خبيثة هي مواد الإدمان، وقد انتهى التقديم أمس بالاستشهاد بقول طارق:

"نفسى أبطل وأكمل حياتي محتم..."

لكنه يردف:

"أنا مش متخيل إن أنا حاعيش بدماغ واحدة....، أسيب كل ده وأعيش بدماغ واحدة؟! دماغ ميَظَل؟!!"

(قبل الدخول إلى الحالة نصح من تساءل عن أساسيات فكرتنا عن الإدمان أن يرجع إلى يومية (س،ج عن الإدمان) بتاريخ 2007/10/21.

هذا شاب عمره 17 سنة، مدمن من سن 11 سنة، يعلمنا، وهو يهبط إلى الهاوية، أن لنا أكثر من دماغ (لن لم يقرأ يومية أمس، يستحسن أن يضغط على خانة المقالة السابقة، أو هنا (أدمغة المدمن ومستويات الوعي "1")، ويقرأ ما نشرناه أمس، قبل أن يكمل. شكراً).

الاختبار الذي أجريناه لطارق والذي سنعرضه اليوم، لا يتعلق بمشكلة هذا الشاب كمدمن، بقدر ما يتعلق بإمكانية تحريك الوعي للأصغر، من خلال تنوع الحوار، ومحاولة التباديل الممكنة التي يمارسها الإدراك البشري، مع "حركية الخيال" بإسقاطات متنوعة.

أشرنا أمس إلى ما يذكّرنا كيف أننا في أشد الحاجة إلى قبول فكرتين أساسيتين:

الأولى: تعدد مستويات الوعي.

الثانية: إمكانية احتواء هذه المستويات على مسار

النمو في جدل يخلق منها - مع وبعد - أن تتبادل، وتتوازن، وتتصارع، ثم تتضفر باستمرار، **يخلق منها** **تنويغات متجددة من الوعي**، هو ما يسميها المدمن **"دماغ"**، وهو ما تحققه له السموم التي يتعاطاها، والتي تقوم بهذا الانقلاب قسراً، بعد العجز عن تحريك الوعي خيالا وإبداعاً ونمواً، لكن النتيجة هي كارثة الضياع في خراب ظاهرة الإدمان.

التجربة :

عرضنا على طارق، وهو متوقف عن التعاطي تحت العلاج، بضعه صور (خمسة) منتقاه من اختبار معروف، هو اختبار **"نظم إدراك"** الموضوع Thematic Apperception Test مضافاً إليها صورتان محليتان من ثقافتنا، ثم صفحة بيضاء ليكون المجموع ثمانية.

فكرة الاختبار هي شديدة البساطة، أما دلالات الاختبار وقراءته فهي شديدة التنوع من جهة، وعليها خلافات علمية وتطبيقية بلا حصر، الفكرة مبنية على ميكانزم **الإسقاط** وعلاقته بالإدراك. فنحن ندرك الأشياء والمثيرات والموضوعات ليست **"كما هي"**، وإنما كما تصلنا بعد أن نسقط عليها مايسر مما أثارته فينا بمجرد وقوعها على حواسنا، هذه الفكرة البسيطة يعرفها أبسط الناس، كما يعرفها الأطفال، كما تؤكدنا الأمثال العامة من **أول "القرد في عين أمه غزال"** حتى **"الخنفسة"** التي رأت ابنتها على الخيط فقلت **إنها "لؤلؤة في خيط"**.

نطلب من المريض أن يروي قصة، أو يصف ما يصل إليه من كل صورة من الصور الثمان (سبعة+1)، ونسجل الوقت إلى أن يبدأ (وهو ما يسمى **"زمن الرجوع بالثانية"**)، ثم نسجل **الزمن الكلي** بعد انتهائه من الحكى، ومن خلال استجاباته، جنباً إلى جنب مع ما نعرفه عنه تاريخياً شخصياً وحضوراً إكلينيكياً، نجتهد في قراءة حالته دون محاولة الوصول إلى تشخيص، ودون الحماس إلى أي حسم نهائي في أي اتجاه، وإنما هي إضافات دالة للحالة إكلينيكياً، تضي جوانب أخرى غير التي أضاءتها المقابلة، والأسئلة والأجوبة، والمعلومات، ثم يطلب من المفحوص وضع عنوان لما حكى أو كتَب، بعد أن ينتهي من الحكى.

هناك أساليب مختلفة، ودرجات وتقنيات مجتهدة لقراءة هذه الاستجابات، لكننا نتبع هنا منهجاً يعتبر كل استجابة إضافة إكلينية مفتوحاً قراءتها للخبير، **بما في ذلك إسقاطات** **الخبير نفسه على إسقاطات المريض**.

أما كيف تقرأ -عزيزي القارئ- ما ننوي تقديمه هنا فننصحك - دون إلزام - في الهامش نصيحة اختيارية :

بطاقات T.A.T

<p>الاسم: طارق الاستجابة التلقائية وكلها محملة بمشكلة الإدمان (طارق المنغمس)</p>		<p>السن: 17 سنة الاستجابة بعد أن طلب منه تجنب ذكر الإدمان (اليوم التالي) (طارق بدون)</p>
<p>(الصورة 1) مدمن يتألم ده واحد واقف بيخنق حد، لأ ده واحد بيشك [بيضرب] لحد تاني في رقبته، السرجه واضحه، بيحطها في رقبته. اللى قاعده على الأرض ده مدمن تعبان مش لاقى عروق يضرب فيها. زمن الرجوع: 11 الزمن الكلى: 54 1</p>		<p>(الصورة 1) قاتل عزوف ناس قاعدين في بير سلم واحد بيقتل التاني. زمن الرجوع: 24 الزمن الكلى: 52</p>
<p>(الصورة 2) فاقد الأمل واحد واقف في أوضه، الباب مقفول ويعيط، هو بيعيط علشان مظلوم، علشان الناس فاكراه بيضرب. زمن الرجوع: 7 الزمن الكلى: 48 1</p>		<p>(الصورة 2) الكنيسة الجهولة دى كنيسه أنا شايف صليب، ده واحد بيعترف لغيس وندمان. زمن الرجوع: 12 الزمن الكلى: 38</p>
<p>(الصورة 3) مادة سم واحد قاعد على الأرض وساند راسه على السرير، هو لسه ضارب وبيسقط [يصب] وسرجه واقعه جنبه. زمن الرجوع: 9 الزمن الكلى: 35 1</p>		<p>(الصورة 3) لحظة ندم راجل لابس بيريه وساند على السرير ويببكي. زمن الرجوع: 8 الزمن الكلى: 51</p>
<p>(الصورة 4) ---- أنا في المستشفى وأمى بتعيط، متخيله إنى ممكن أطلع أضرب تاني ومستحمل بُخدى، علشان أطلع زى الصفحة البيضاء ديه. زمن الرجوع: 2 الزمن الكلى: 55 2</p>	<p>الصفحة البيضاء</p> 	<p>(الصورة 4) الرجل الملعون فيه ناس طالعين رحله والأتوبيس انقلب بيهم، ناس كلهم ميتن والسواق كان شكله قاصد يقبل الأتوبيس علشان السواق مسيحى ودى رحله حجاج. زمن الرجوع: 25 الزمن الكلى: 55 2</p>

<p>(الصورة 5) غرزة السعادة دى غرزه وديه شرموطه وده المعلم بتاعه وفيه بودره على الترابيزه وفيه حشيش على كانشه وده معرض واقف يلاغى. زمن الرجوع: 8 الزمن الكلى: 30 1</p>		<p>(الصورة 5) الرجل البذئ ده راجل ودى مراته وهو بيعرض عليها والطويل ده زيون وهو متخله عليها وبيعرض. زمن الرجوع: 10 الزمن الكلى: 42</p>
<p>(الصورة 6) نصيحة أب الصغير ده مدمن والكبير أبوه، بينصحه إنه يبطل، بس هو شايف حياته كده أحسن، ومش عايز يبين إنه مضايق. زمن الرجوع: 10 الزمن الكلى: 40 1</p>		<p>(الصورة 6) فنان عظيم الراجل ده شبه فريد الأطرش، وده ملحن بيقول له على أغنية، بس هيه مش عجباه. زمن الرجوع: 6 الزمن الكلى: 44</p>
<p>(الصورة 7) فكرة ضرب ده راجل واللى وراه شيطان عمال يوسوس له فى ودنه إنه يرجع تانى، بس هو مبطل وعجباه حياة التبديل. زمن الرجوع: 12 الزمن الكلى: 2</p>		<p>(الصورة 7) الساحرة الشريرة دى ست واللى وراها شيطان وبيقولها تعمل حاجه بس هيه مش راضيه عنه ومديالها بضرها. زمن الرجوع: 7 الزمن الكلى: 47</p>
<p>(الصورة 8) الرجل العبيط ده راجل أهبل، موظف ملوش فى الضرب، وملوش فى حاجه خالص. زمن الرجوع: 5 الزمن الكلى: 25 1</p>		<p>(الصورة 8) قرئ راجل أهبل ملوش حد، هو تخين ومراته ركبا، ويتمشى كلمتها، بس هو سعيد. زمن الرجوع: 5 الزمن الكلى: 39</p>

مناقشة الاستجابات

أولا بصفة عامة، لاحظنا ما يلى:

- (1) إن "طارق" يتمتع بخيال مرن طول الوقت، سواء وهو منغمس (فكراً وخيالاً) فى مشكلة إدمانه، أو وهو مستجيب لتجنب الحديث عنها.
- (2) إن استجابته الأولى لجميع الصور بما فى ذلك الصفحة البيضاء كانت حول موضوع المخدرات بشكل أو بآخر. (وهذا ما جعلنا نحاول إعادة الاختبار كما أوضحنا).
- (3) إنه على النقيض من قصائد المديح التى أثنى بها طارق على "الأدمغة" التى تحققها له مختلف المواد، سواء بذاتها، أو بعد إعداد "كوكتيل" منها بمعرفته، وهو ما أسمىناه أمس "التباديل والتوافيق"، على النقيض من ذلك جاءت

معظم استجاباته اليمنى (المنغرس في فكرة الإدمان) تعلن وعيا مباشرا وغير مباشر بالأضرار، والصبر، والرفض، واليأس، وأعمال الشيطان.

(4) إنه بالرغم من كل ذلك انتهى في الصورة الأخيرة إلى ما يؤكد ما أعلنه في آخر مقتطف أمس، وهو ما بدأنا به كلمة "اليوم" من أن "اللى مالوش في الضرب مالوش في حاجة"، كما ظهر في وصفه للرجل البدين في الصورة الأخيرة، وهو نفس الموقف الذى انتهى إليه، وأظهرناه في نهاية حلقة أمس من قوله متعجبا: "أسيب كل ده وأعيش بدماغ واحدة؟ دماغ مبطل"!!

(5) إنه حين طلبنا منه الاستجابة دون التطرق لموضوع الإدمان، تحرك وعيه بنفس المرونة والتلقائية، وذلك في اتجاهات مختلفة منها: اتجاه الندم، أو اللعنة، أو التوبة، ولكنه تحرك أيضا في اتجاهات أفسى وأخطر مثل: البذاءة والقتل، لينتهى نفس النهاية، وهو يصف الرجل البدين بأنه "قرنى" ومراته راكبا لأنه مالوش في الضرب ولا في أى حاجة، ومع ذلك "بس هو سعيد".

قراءة في استجابات طارق "المنغمس مقابل طارق "بدون":

الصورة (1) "طارق المنغمس"

لم أستطع أن أحدد ما يقصد طارق بالعنوان "مدمن يتألم" هذا المدمن: يتألم مِم؟ من أنه "تعبان يريد أن يضرب ومش لاقى عروق"، أم من السريجة الواضحة وهى تنغرس في رقبته (وهذا ما يلجا إليه كثير من المدمنين حين تتخثر معظم عروقهم الظاهرة في الذراعين أو الساقين)؟

لكن نلاحظ أن استجابته لهذه الصورة بدأت بغير ذلك، فقد التقط فيها لأول وهلة محاولة للخنق (إزهاق الروح)، وهو ما ظهر أيضا في استجابة "طارق: بدون".

فهل يمكن أن نفترض أن طارق يعلن بذلك أن أى شخص يساعده في استمرار إدمانه، وهو ما يتمثل فيمن يضرب الحقنة (السريجة) في رقبته، إنما يقتله بذلك؟ يجوز!

الصورة (1) "طارق بدون"

على الناحية الأخرى كانت الصورة أكثر إيجازاً، لكن ظهرت فيها أبعاد: السرية والتحتية، (بير السلم) والقتل، صحيح أن استجابته اقتصر على الاثنين الظاهرين في الصورة، وأن القاتل محترف (العنوان: ربما هو هو غارز السريجة في الناحية الأخرى) لكنهم كانوا جماعة، وكان جماعة المدمنين الذين يسمحون لهذا القاتل المحترف أن يتمادى في الخفز إلى استمرار الإدمان، هم قتلة أيضاً مشاركون في الجريمة بشكل ما.

الصورة (2) أولا "طارق المنغمس"

استجابته هنا غير واضحة، قفلة الباب قد تشير إلى المأزق الذى هو فيه وقد مضت ست سنوات مع محاولات علاجية مختلفة بلا

طائل، أما بكاؤه فقد ربطه بأن الشخص في الصورة قد توقف عن التعاطي ومع ذلك، مازال متهما، ولا أظن أن الأمر بهذه البساطة، فقد نفهم من ذلك أن الوعي الذي يريد أن يتوقف هو "وعي" حسن النية "على أحسن الفروض، وهو الذي ظهر في نهاية ما عرضناه أمس "نفسى أبطل وأبقى باشا". لكنه (كما نشرنا في يومية أمس) سرعان ما استبعد أو استنكر أن يرضى بأن "يعيش بدماع واحد "دماغ مبطل"!

في كثير من الأحيان تكون هذه الأنواع من الوعود، وهذه الانفعالات بالبكاء: مؤقتة، ومُفرَّعة، ورغم احتمالات صدقها المبدئي هي لا تفيد كثيرا في مسيرة العلاج.

الصورة (2) "طارق بدون"

ارتبط التبطيل هنا بالاعتراف والندم (ربما للتطهير)، وهذا أيضا ليس بالضرورة من العلامات الإيجابية التي نفرح بها عادة حين تظهر عند المدمن.

أما كَوْن الاعتراف والندم جاء هنا مرتبطين بالكنيسة، فهذا أمر لا نرى أنه يدل على أية درجة من السماح أو قلة التعصب، حيث ظهر التعصب بشكل مباشر في استجابته في الصورة الرابعة (الصفحة البيضاء - طارق بدون): أنظر بعد .

الصورة (3) "طارق المنغمس"

حين تصل جرعة المخدر إلى إحداث غياب الوعي "وليس مجرد تغييره أو إبداله" "يسقط" المدمن (يصب)، هذه المرحلة يكرهها المدمن عادة برغم أنه في كثير من الأحيان لا يستطيع تجنبها، ويصبح المخدر في هذه الحالة هو "مادة سم" (العنوان).

الصورة (3) "طارق بدون"

يظهر أنه حين يخرج الخيال من انغماسة في المخدر، ينقلب "التسقيط" إلى إفاقة نسبية: تدفع إلى اللجوء إلى سنبل ما، مجرد استناد، فلا يتمادى الوعي الظاهر في الانسحاب حتى الغيبوبة، وتظل المشاعر قادرة على استيعاب الموقف (يبكى) ويظهرُ الندم (العنوان: لحظة ندم)

الصورة (4) "طارق المنغمس":

أسقط طارق على هذه الصفحة البيضاء موقفه "هنا والآن"، وحضرت عواطف أمه وأملها مما آل إليه حاله (مع أنه لم تظهر لنا في تاريخه أي اعتبار العواطف أمه أو توجه وجداني مفيد من ناحيته نحو أمه) يبدو أنه يربط هنا البياض، بما يشاع من أن إزالة التسسم "سريع-سريع"، تُرجع المدمن كما ولدته أمه، وهذا ما يزعمه البعض في الدعايات العلاجية المغرضة المسطحة .

ربما يرى طارق من خلال هذا البياض أن عليه - إذا ما عاد بريئا نقيًا- أن يتحمل بُعْدَه عن أمه، ويستمر في المستشفى صابر ليحقق لها أملها في شفائه ليرجع "أبيضا" كما ولدته !!

الصورة (4) "طارق بدون"

هنا بدت الاستجابة لهذه الصفحة في الاتجاه العكسي تماما، وكأنها كشفت خدعة "براءة البياض" المزعومة - لأنه بدا أن وراء هذا البياض الذى يزعم أنه تحقيق لأمنية أمه، وراءه جريمة قتل جماعى تعصى انتحارى نذل: سائق مسيحي ينتحر بركابه المسلمين مجرد أنهم ذاهبون للحج.

فأين ذهب البياض وأين النقاء وأين أمه وأين الآخر؟

إن هذا ينبهنا إلى خطورة ادعاء المثالية النظرية ، والتسامح الكاذب.

أما عن العنوان فربما يعنى به طارق وصف السائق بأنه "الرجل الملعون"، لكن هل هو ملعون لأنه قاتل، أم لأنه منتحر، أم لأنه هذا وذاك، وهل لحقته اللعنة بعد موته مع ضحاياه؟ أم أن اللعنة هى التى دفعته إلى هذا القتل الجماعى الأعمى التعصى الانتحارى؟ ثم هذا الموت الجماعى "كلهم ميتين" هل يمكن أن يكون الذى أوحى به "سكون بياض الصفحة". أيضا، كفنأ هذه المرة وصمتاً!؟

كل هذا قد يشير إلى أن الغطاء الأبيض، الذى تختبئ وراءه أحيانا ببلاهة، ولو بالمخدر، قد يكون وراءه كل هذا القتل الانتحارى البشع.

الصورة (5) "طارق المنغمس"

هذه الاستجابة قد تعبر عن رؤية المدمن لمعنى "اللذة" كقيمة منفصلة في ذاتها، وهذا قد وَرَدَ بعض ذكره من طارق فيما قدمناه أمس-وفى بقية أوراقه- وهو يتغزل فى تأثير المخدر تلو الآخر، ويمثلها هنا ما أسماه "عُرْزَة السعادة"، التى تعد بأن تحقق له أنواع اللذة التى حققتها له المواد المختلفة.

الصورة (5) "طارق بدون"

فى حين رأى طارق هذه الصورة وهو منغمس فى المخدرات على أنها "عُرْزَة السعادة" ، فقد تصورنا أنه استقبلها هنا ليواصل دمغ الرجل العادى ويصفه "بالسلبية والتعريض على زوجته شخصيا. وقد انقلب الرجل الذى كان يخدم على المخدر على اليمين (مع المنغمس)، إلى زبون يساوم على زوجة هذا الرجل السلى. فهل يشمل ذلك ما يهجس فى النفوس أحيانا، ولو فى اللاشعور: أن كثيرا من الحياة العادية (التي نعيشها بدماغ واحد) إذا ما تعزّت ظهرت فيها مثل هذه الصفقات "مجازا على الأقل".

لا أظن ولا أستبعد.

الصورة (6) "طارق المنغمس"

بالمقارنة بالصورة التالية نجد أن طارق هنا يعزى "تفاهة" "ولاجدوى" النصائح الفاترة المعادة التى نتعامل بها مع المدمن بإلحاح غيى، فالشاب هنا "مبسوط كده"، فكيف ينفذ إليه النصح.

الصورة (6) "طارق بدون"

حين أزيح موضوع الإدمان من الخيال، استطاع طارق أن يرى الصورة بشكل موضوعي نسبياً، وفعلاً يبدو الرجل الأصغر في الصورة به شبه من فريد الأطرش، كما يمكن أن يكون العجوز ملحناً، ثم أن طارق يعطى عنواناً مناسباً لهذه الموضوعية النسبية الظاهرة وهو "فنان عظيم" وهو لا يبالغ .

الصورة (7) "طارق المنغمس"

يُرجع طارق "هنا" الضرب - رغم قصائد المديح التي أشرنا إليها أمس- إلى وسوسة الشيطان، وهو يزعم أن الشخص الصغير- في الصورة- المبطل "قد أعجبته حياة التبطيل، وهو زعم يتنافى مع الصورة السابقة كما أشرنا.

الصورة (7) "طارق بدون"

استمر حضور الشيطان في خيال طارق حتى بعد إزاحة مشكلة الإدمان من فكره، وهذا هو ما يؤكد ذلك العنوان أيضاً: "الساحرة الشريرة" فاقتربت فكرة رفض السوء بما ذكر وهو يزعم على الناحية اليمينية (المنغمس) أن الذي بطل استطاع أن يظل يقاوم وسوسة الشيطان.

الصورة (8) "طارق المنغمس" + "طارق بدون"

ما وصلنا من هذه الصورة من **الناحتين** يكمل بعضه بعضاً في نفس الاتجاه، وهو متعلق بالفرض الخالي، لذلك فضلنا أن نجمع القراءة لهما معاً: هذه الصورة التي أشرنا إليها في مقدمة هذه الحلقة تبدو لنا من أهم الصور التي تؤيد ما ذهبنا إليه من فروض، فهي تعلن: إنه برغم كل حركية الرفض، والوعود، والندم، وبرغم حضور القتل والسموم والانتحار، في معظم الاستجابات، تعلن كيف تصل الحياة البليدة الروتينية إلى الشباب في هذه السن باعتبارها حياة مغترية فاترة "دماغ واحد ثابت فاتر".

الصورة (8) "طارق المنغمس"

- ده راجل أهبل.
- موظف.
- مالوش في الضرب.
- مالوش في حاجة خالص.

ثم الصورة (8) "طارق بدون"

- راجل أهبل
- مالوش حل
- تخين
- ومراته راكباه
- ثم برغم كل ذلك أنه
- "بس هو سعيد".

هذه السعادة "المضروبة" التي يسخر منها طارق، وهو مغموس بأفكار الإدمان، وأيضاً وهو "بدون" هذه الأفكار، هذا الخمول، واللاشيئيه، هذه البلادة واللامبالاة "مالوش في أي حاجة"، يبدو أنها هي التي حاول طارق أن يهرب منها وهو يبحث عن سعادة "الأدمغة المتغيرة"، حتى "بالوعى المصنوع".

علينا أن نتساءل: هل لهذا بديل صحي كما أشرنا أمس إلى ما هو: سماح، وحركة، وتغير، وإبداع؟.

طارق راح يبحث عن كل ذلك لأنه افتقده، وهو في أشد الحاجة إليه في هذه المرحلة من العمر، فراح "يجزّب" باستعمال كل هذه السموم بديلاً لينتهي به الأمر أن يخاف أن يشفى حتى لا يعود إلى حظيرة "الدماغ الواحد المبطل".

فهل عندنا للباحثين مثله عن حقهم في حركة مستويات معاً، من الشباب وغير الشباب، بديل حقيقي؟

الخلاصة:

بعد المراجعة الأخيرة، استشعرت الصعوبة بقدر أكبر مما حسبت، حتى كدت أراجع عن النشر.

لكن مرة أخرى، نحن لا ننشر الأسهل، كما أننا لا نكتفى بأن "نقرّ بالمعروف مسبقاً لنؤكد".

ما نريد أن نخلص إليه إن أمكن هو:

إن قراءة إشكالية الإدمان من منطلق أنها "لغة"، إنما هي عملية تساعدنا أن نعرف مدى تقصيرنا في فهم الطبيعة البشرية واحتياجاتها، وهذا لا يساعد فقط في مساعدة المدمن، بل إنه قد يرشدنا إلى تصحيح أنفسنا.

ما أمكن ذلك.

- الخيل النفسية في الأمثال العامية (يحيى الرخاوي).

(1) يمكن أن تقوم بنقل الورقتين الحاملتين للصور والاستجابات إلى حاسوبك (الكمبيوتر)، وتطبعهما.

(2) يستحسن أن تعمل ثلاث نسخ من الورقة:

أ- الأولى تحوى الصور فقط.

ب- الثانية تحوى الاستجابات على اليمين (المحملة بمشكلة الإدمان).

ج- الثالثة تحوى الاستجابات على اليسار (بعد أن طلبنا من طارق أن يتجنب ذكر الإدمان في استجاباته في اليوم التالي).

(3) أن تحاول أنت شخصياً أن تكتب (أو تسجل) قصة قصيرة أو رؤية مما يصلك من كل صورة بعيداً عن استجابات طارق.

(4) ألا تقرأ استجاباتك شخصياً الآن، فقط تتعرف على طبيعة الاختبار.

(5) أن تعود إلى النسخة الثانية وتقرأ استجابات "طارق" ووعيه الظاهر منغمسا في مشكلة الإدمان، مع النظر في كل صورة مقابلة (قد اسميناها: "طارق المنغمس").

(6) أن تضع ذلك جانبا وتنتظر قليلا.

(7) أن تعود إلى الاستجابات على اليسار وقد طلبنا من "طارق" أن يتجنب ذكر الإدمان في استجابته وقد اسميناها "طارق: بدون".

(8) أن تعود إلينا بعد كل ذلك تقرأ معنا ما حاولنا قراءته، ولا تعتبر قراءتنا هي "نهاية الأرب أو فصل الخطاب"، بل هي اجتهاد مثل اجتهادك مع فارق الخبرة لا أكثر.

- المنغمس: تعنى المشغول طول الوقت في مشكلة الإدمان التي حددت إستجاباته الأولى.

- بدون: تعنى طارق بعد أن أوصيناه ألا يتحدث في استجاباته عن الإدمان

- يستحسن أن تقرأ هذا الاجتهاد التفسيري الناقد وأنت تضع الصور والاستجابات مجتمعة أمامك بعد أن تطبعها.

- أحيانا - سواء في حالة الإدمان أو الذهان- يتحرك "الدين" الآخر داخلنا كنوع من إعلان تحريك النقيض الداخلي في (وعى عكسي) وهذا يقابل ما يتفق مع ما هو شائع من محاولة علاج بعض المرضى المسلمين في الكنيسة وبعض المرضى المسيحيين عند الشيوخ، وهو يتفق أيضا مع الشائع عند العامة من أن قرين الذكر أنثى تحت الأرض (أى تحت الوعى) وقرين الأنثى ذكر تحت الأرض (تحت الوعى) (وهو قريب لما قال به كارل يونج)، فظهور "النقيض" في الإسقاط هو دليل على تحريك "وعى العمق" لا أكثر.

- يصب: كلمة يستعملها المدمن تعنى الوسن المفاجئ أو قرب السقوط في الغيبوبة.

- التسقيط: كلمة بنفس معنى "يصب" يستعملها فريق آخر من المدمنين لتؤدى نفس المعنى.

- عموما بالنسبة لهذه البطاقة البيضاء، كثيرا ما توقعث أن يرفض الكثيرون الاستجابة لها، ومع ذلك فكثيرا أيضا ما كانت أكثر ثراء من كل الصور، وكأنها مجال الإسقاط الحقيقي، هذه الدهشة مبررة أكثر حين نتذكر أننا نطلب من المريض أن يحكى مايراه في الورقة وهو يعلم ونحن نعلم أنه ليس بها شئ أصلا

- هذا ما يشيعه أخصائيون إزالة التسمم كما ذكرنا في المتن حالا.

- لا مجال لمحاولة أن نربط هذا الموقف بحركية الإبداع لعمل دماغ بيديلا عن الإدمان كما افترضنا أمس، الغناء والطرب ليسا هما الإبداع الذي نعنيه في تحريك الوعى لعمل دماغ مبدع سليم.

الخميس 25-10-2007

25- قراءة في "أحلام فترة النقاهة" (3)

الحلم 3

هذا سطح سفينة يتوسطه عامود مقيد به رجل يلتف حوله
حبل من أعلى صدره حتى أسفل ساقيه وهو يحرك رأسه بعنف
يمنة ويسرة ويهتف من أعماقه الجريحة
متى ينتهي هذا العذاب؟
وكان ثلاثتنا ينظرون إليه بإشفاق ويتبادلون النظر في
ذهول

وتساءل صوت:

من فعل بك ذلك؟

فأجاب الرجل المعذب ورأسه لا يكف عن الحركة
أنا الفاعل

لماذا؟

هو العقاب الذى أستحقه

عن أى ذنب؟

فصاح بغضب:

الجهل

فقلت له:

عهدنا بك ذو حلم وخبرة

جهلنا أن الغضب استعداد فى كل فرد

وارتفع صوته وهو يقول:

وجهلنا أن أى إنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة مهما يهون
شأنه

وعَلَبْنَا الحزن والصمت.

القراءة (النقد)

نبدا من الآخر:

(1) " الغضب استعداد فى كل فرد"،

(2) أى إنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة مهما يكن شأنه".

يبدو أن هذه البديهيات التى نتصور أنه لا جدال حولها،
خاصة ونحن نردها ليل نهار، ونتصور أننا بمجرد أن ننطقها
قد حققناها، يبدو أن حلم محفوظ هنا ينبهنا إلى احتمال
أننا فى حقيقة الأمر - ننساها- حتى لو ظللنا نردها دون أن
نختبر عمق وحقيقة ممارستها بتسطيح أو تزييف أو كذب.

أما أن الغضب استعداد في كل فرد، فقد شغلني هذه المسألة طويلا حتى صغتها حديثا (2007) في شكلها الأبسط في صورة أغنية للأطفال "داخلنا وخارجنا"، أكتفى بالإشارة إلى موقعها في الموقع "الحق في الغضب" مقالات الدستور 2007/7/25

ثم إنني شُغِلت قبل ذلك (1980) بما وراء هذا الغضب الإيجابي، حين رحلت أودع عن الوجه الإيجابي لغريزة العدوان التي عادة ما ننكر دورها الإيجابي خوفا من حضورها التحطيمي السلي الأشهر، كانت أطروحتي عن "العدوان والإبداع" من أول ما نظرت في مسألة الغرائز، وأكتفى أيضا بالإشارة إلى موقعها في الموقع "العدوان والإبداع" مجلة الإنسان والتطور يوليو 1980.

الجهل ذنب خطير:

حين ننكر هذا الحق (حق الغضب) جهلاً أو تجاهلاً، وبتنكر- ضمنا- لإيجابيات هذه الغريزة (العدوان)، فنحن نخذل طبيعتنا البشرية فنستحق العقاب، أقسى العقاب، وهذا هو ما بلغني مما يمثله هذا الرجل المقيد نفسه على عمود السفينة؟

هذا هو الجهل الأول.

الجهل الثاني (الذي يبدو أيضا أنه تجاهل، فإنكار)، هو أن نخص الكرامة (التي أكرم الله بها كل خلقه)، بغثة دون أخرى، وسواء فهمنا كيف أن الكرامة نابعة أساسا من أن الله "كرم الإنسان"، من حيث هو إنسان، أو فهمناها بذاتها لذاتها بمعنى العزة والحرية والإياء، فإن جهلنا بها أو تخصيصها لفئة من البشر دون أخرى يترتب عليه ذنب آخر يستحق نفس العقاب، أو مضاعفته، وهو ما جاء في هذا الحلم وأعلن بعد صدمة إفاقة.

الذي يجهل (يتجاهل / يُنكر) حق الغضب (مع أنه استعداد في كل فرد)، كما يجهل (يتجاهل/ينكر) أن أي إنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة، لابد أن يدفع الثمن؟

وهو نفسه الذي يصدر الحكم على نفسه (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا).

لكن: كيف يكون الجهل جريمة تستحق العقاب؟. أي ذنب اقترفه هذا الجاهل؟

كثيرا ما أكرر مثل ذلك على طلبتي حين أجد أن شركات الدواء قد أغلقت عقولهم إلا على ما يخدم أموالها، في حين يلقى المرضى في وعينا من "المعرفة والمعاني" ما يعيننا على مساعدتهم ورؤية أنفسنا وإياهم، لكنني أجد مقاومة شديدة من طلبتي وزملائي لفهم أبسط هذه الرسائل، فأقول لهم: "إن الله سبحانه على ما نعلم، وعلى ما رفضنا أن نعلمه، أو نتجنبنا أن نعلمه، ولو لاشعوريا، ما دامت قد أتاحت لنا فرصة تعلمه، معرفته، إدراكه.

العقاب:

طيب ما هو العقاب الذى نلحقه بأنفسنا إذا ما أذنبنا في حق أنفسنا فعشنا أنقص مما خلقنا الله، بمعنى أذن، وأقل، وأكثر تشويها؟

نقرأ الخلم

مسرح الخلم هو سطح سفينه، هل هي مقابل سفينة نوح؟ "صدمة الإفاقة" التى يحملها لنا الخلم، تحملها ونحن نركب الفلك لعلها تنقذنا من الاغتراب التخديرى الذى وصلنا إليه على مستوى العالم؟.

بالصدفة البحتة بعد أن كتبت المسودة الأولى لنقد هذا الخلم وصلنى من زائرة (قارئة) كريمة تعليقا على "يومية حالات وأحوال": "أدمغة المدمن ومستويات الوعي" (10/23)، معلومة جعلتني أعيد تحديث نقد الخلم. (انظر حوار الغد في هذه اليومية)

تقول هذه المعلومة "... طلب "هوشى منة" قائد الثورة الفيتنامية من رفاقة أن يربطه بسارى مركب، ولا يفكوه مهما تأثروا بصراخه، حتى يتسنى له الكف عن تعاطى الأفيون". هزنى هذه المعلومة وأنا أربطها بجدس نجيب محفوظ الإبداعى برغم عكس الرسالة، ذلك أن "هوشى منة" يربط نفسه ليفيق من المخدر، في حين أن رجلنا هنا يربط نفسه عقابا على أنه استسلم لتخدير الاختزال والاغتراب وتشويه الفطرة.

ما وصلنى من تشكيل هذا الخلم أن نجيب محفوظ يبلغنا بهذا الخلم أنه:

مهما بدا العقل الفوقى حليما وحكيما، ومهما بدا يقظا متلفتا، فهو قاصر عن الإحاطة بكلية الوجود، لأنه أغلق بقية قنوات المعرفة بما في ذلك "الحركة" و"الجسد".

العلم المعرفى

العلم المعرفى الأحداث (خاصة في العشرين سنة الاخيرة)، يحاول تصحيح هذا الذى لحق بالوجود البشرى اختزالا واغترابا حتى التخدير، وذلك حين يذكرنا أن العواطف لها برامجها المعرفية، وأن الجسد (بما هو جسد) يشارك في التفكير كما يعلمنا متصوفونا ومتصوفوا العالم - المبدعون لا الذاهلون - أهمية بقية قنوات المعرفة المشاركة مع (وليست البديلة عن) العقل المنطق الأحداث.

النتيجة!!

هكذا يجدد هذا الخلم بصورة تشكيلية شديدة الإيجاز والتكثيف الأمور على الوجه التالى:

(1) إننا قيدنا وجودنا كله، حتى الشلل حين حلّ هذا الرأس المتلفت: العقل الفوقى، محل حركتنا الاستكشافية المعرفية (الإيمانية).

(2) إنه سواء كان التلفت إلى اليمين (أى يمين) أو إلى اليسار (أى يسار)، فالنتيجة واحدة والضياع واحد، والعقاب حتمى.

(3) إن هذا الاغتراب التخديرى المُعقَّلُنْ إنما يجرحنا فى غور وجودنا إذ يَحْتزلنا حتى تستغيث أعماقنا "مَتى يَنْتهى هذا العذاب".

المشاهدون والصوت

لكن من هؤلاء الثلاثة الذين ينظرون إليه باشفاق ويتبادلون النظر فى ذهول؟

خطرت ببالى عدة احتمالات لرقم "3" هنا، رفضت إثباتها جميعا خوفا من التعسف، ومع ذلك احترمت أنهم ثلاثة (ليسوا واحدا) احتراما شديدا، دون تعليق، خاصة وأنه سيأتى ذكر الرقم 3 (ثلاثة) فى الحلم "4" (ومن يدرى بعد ذلك).

أما هذا الصوت: الذى يتساءل: "من فعل بك ذلك؟ فقد يكون صوت أحد الثلاثة

كما يمكن أن يكون صوت الزمن

أو صوت الشخص المقيد على السارى (على نفسه بصيرة).

ننبه أيضا إلى أن إنزال العقاب ليس مرادفا للشعور بالذنب، العقاب هنا هو أن يعيش الإنسان ناقصا عاجزا برغم حدة انتباهه "فى الخلل".

ثم أن الرجل لم يكن مشدودا إلى صليب يتألم فوقه بل كان مقيدا بمجال عقله الأعلى لا أكثر.

هذا العقاب هنا يتمثل فى الحرمان من بقيه مناهل المعرفة من ناحية، سواء كانت المعرفة بالجسد أم بالخدس أم بالحركة أم بالوجدان، كما يتمثل فى العزلة والعجز والحركة البندولية بين اليمين واليسار.

هامش:

قبل أن أشير إلى خاتمة الحلم، وكيف وصلتنى، أنبه إلى قول المشدود (لالمصلوب) "وجهلنا أن الغضب استعداد فى كل فرد"... مقارنة بقوله: "جهلّت أن الإنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة" وكأنه جعل الجهل "العام" (نحن) بإنكار "العدوان والإبداع"، هو الخلفية التى جعلته فردا، يميز البشر إلى "من عنده كرامة، ومن لا يستحقها".

النهاية:

أرجو أن ينتبه قارئ الحلم لنهايته بدقة مناسبة، ذلك أن الحزن والصمت لم يكونا من مشاعر الحكوم عليه بالمقيد والجمود، حتى لو شعر بالذنب، وعاقب نفسه هكذا، واعترف بجريمة الجهل. نهاية الحلم كانت حزن وصمت الجماعة "الثلاثة" أو الثلاثة زائد الصوت أو الثلاثة زائد الصوت زائد الرجل المقيد، أو نحن جميعا بنى البشر".

حزننا هو لهذا الانقسام الذي يتر الوجود البشرى إلا من عقله الأعلى المتمنق حتى لو اتصف بالعلم والخبرة .

ربما يكون هذا هو الخزن الدافع الأقوى لتحمل غموض وضرورة العلاقة بالآخر في آن .

أو الخزن الذى هو التفاعل المناسب المصاحب لصمة تعرية الحقيقة .

أما الصمت بعد هذه الرؤية فقد وصلنى على أنه ذلك الصمت المفعم بوعود اليقين وضرورة مواصلة السعى الممتد كدحاً إليه .

وبعد

1- هل يمكن أن يقول تشكيل حلم بهذا التكتيف والإيجاز، كل ذلك؟
2- وهل لو عرضت هذه القراءة على مبدع الحلم - محفوظ نفسه- يقبلها؟

3- وهل من حقى أن استقبل هذا الحلم/التشكيل المكثف بكل هذا التفصيل الناقد الصعب؟

الاجابة عن السؤال الأول هي: أن نعم،

فإن لم يكن الحلم قد قاله فهذا هو ما حضرنى نقداً .

الاجابة عن السؤال الثانى هي: سواء قبلها المبدع الأول أم لم يقبلها، فهذا الأمر ليس من حقه، فالمبدع يبدع، ثم "يسهر النقاد جراها ويختصم".

الاجابة عن السؤال الثالث هي: متضمنة فى الاجابة عن السؤالين السابقين.

- ذات مرة رحى ألقى محاضرة على شباب مبعوثين تابعين لوزارة التعليم العالى إعداداً لهم لمواجهة ما يسمى "الصدمة الثقافية" عند سفرهم للدراسة فى أوربا، وكان من بين ما قلته لهم إن هناك ما يمكن أن يتعلموه من ثقافة مختلفة متقدمة، وأيضاً هناك ما يمكن أن يغلقوا وعيهم عن تعلمه، وهم يقاومون أن يصل إليهم من هذه الثقافة الغريبة، وأضفت أن الله سبحانه سيحاسبهم على ما تعلموه وعلى ما رفضوا أن يتعلموه!! (ولم يفهم أغلبهم الجملة الأخيرة)

- لاكوف Lackoff. Philosophy in the flesh

الجمعة 26-10-2007

56- وار/ بريء الجمعة

أحمد منصور: (الجزء الأول)
(هذا تعليق عام ليس على مقال محدد):

كيف يعيش الانسان حالة من العواطف والمشاعر وينفعل فيها بشده وسرعان ما تنقضى بمجرد انقضاء الحدث او البعد عن المكان.

د . يحيى

هناك فرق بين العواطف والانفعالات (ناهيك عن المشاعر والوجدان) وما تصفه أنت هكذا، هو أقرب إلى الانفعال، وهو المظهر السلوكي الذي يصل إلى وعينا من حركة الوجدان. العلم الأحداث فالأحدث، والخبرة الأعمق فالأعمق تتناول "الوجدان" (الأصل) بشكل أعمق، وقد تتاح لي الفرصة لعرض بعض وجهة نظري، في نظرية متكاملة عن العواطف. المهم الآن أن نحاول أن نحترم هذا التفاعل/ الانفعال، وأن نحمد الله على أنه لا يدمم، وإن كان، بيني وبينك، هو لا يزول حتى لو ابتعد عن الوعي مؤقتا، لاشئ يزول يا بوهيميد، العواطف يا سيدي قناة نشطة من قنوات المعرفة، هي "تبرمج" التواصل، وتسهم في الكشف، ولهذا حديث آخر،

ولكنني أظنك تتحدث عن أشياء أبسط من كل ذلك.

أحمد منصور

... الإنسان في صلاة الجمعة (مثلا) تنتابه حالة إيمانية يود لو يفعل أي شيء و سرعان ما تنقضى هذه المشاعر بمجرد أن يقول الإمام السلام عليكم ورحمه الله ناحيه اليسار

د . يحيى

"الحالة الإيمانية" التي تشير إليها هذه يمكن أن تكون **جُمَاع** حركية الوجدان، وهذا مرتبط باحتمال أن "صلاة الجماعة" وسط الناس تقوم بتحريكنا "معا" إلى هذا التوحد الوجداني "أنا" - "فيهم" - "فيها" - "إليه"، وفي تصوري أن ما يتبقى من ذلك - ولو دون تركيز- حتى الجمعة التالية أو صلاة "الجماعة" التالية، هو "وجدان معرفي" مشتمل، لا يندرج تحت ما يسمى عواطف بالضرورة، ولعل تعبيرك "حالة" هو الأقرب إلى الوصف الموضوعي، وإن شئت قلت الوصف المعرفي الموضوعي.

أحمد منصور

.... حتى عند مشاهدة الاخبار بما تحمل من آلام يود (الواحد منا) لو أنه يحمل سلاحه ويذهب حرب الطغاة، وسرعان ما ينتهي كل شيء .

د . يحيى

قلت لك لا شئ ينتهي: لكن الاحتفاظ بهذه المشاعر في بؤرة الوعي دون فعل "الآن" لوقت طويل، قد يجعلها تفتُر لتصبح أقل فاعلية وأقرب إلى الانفصال عن وظيفتها الدفاعية والمعرفية معاً، أحيانا أتصور أنهم يكررون مثل هذه المناظر حتى نتبدل فلا نثور، ونشارك، ولكن لتعود وتجمد. أي والله.

أحمد منصور: (الجزء الثاني)

سبحان الله، بين ما وصلني منكم الآن وبين مقالكم من 15 سنة بعنوان "بأى حال عدت يا رمضان" لم ألاحظ أى اختلاف

د . يحيى:

يا بوحميد، اعذرنى إن كان قد وصلني قولك هذا بما نبهني إلى احتمال سخفى باعتبار أننى - إذن - لا أفعل إلا أن أكرر نفسى، يا خيراً!! لا أعتقد أن هذا هو ما تعنيه!

أحمد منصور:

.... إن كتابات الأدياء والمفكرين كأفلام السينما، ما هى إلا تسجيل للعصر وملخص للحالة التى يعيشها الناس

د . يحيى

لا أظن، .. ولا أوافق، ولا أرضى أن أكون من هؤلاء (إن وجدوا هكذا).

أحمد منصور

.....إننا لا نخطو للأمام، (كل شئ كما هو) أنا أعنى تطورنا داخليا كبشر، كل عام جديد يحمل المزيد من الأسى والكرهية والبعد عن الله و كلما زاد قولنا سبحان الله تعجبنا لما يحدث.

د . يحيى

أعتقد يا عم أحمد أن تطور البشر يتم عادة دون وعى معلن، وقد تمر فترات يتوقف فيها التطور فعلا أو حتى ينعكس، فهو التهديد بالانقراض، وللأسف أنا أشعر أن هذا بعض ما يتعرض له الإنسان عالميا حاليا، لا بدليل المقالات المعادة، والبلادة التطورية، وإنما بسبب عماء وغباء من بيده القوة القادرة على تزيف الإعلام وسرقة وإجهاض الأحلام، وهو هو من يملك تحريك غول سلطان المال، واللعب بأسلحة الانقراض الشامل القادرة على الإبادة الجماعية.

أحمد منصور: (الجزء الثالث) عن قصيدة للأطفال داخلنا

..... صدق الشاب حين قال لأخته: إن الاطفال داخلنا ليسوا أطفالاً، وأنا لا أستطيع أن أرى أحداً لازال بداخله الطفل

د . يحيى

... أنا لا أوافقك، الأطفال بداخلنا لا يموتون، نحن نخاف منهم ونحبسهم، ونلغيهم، ثم نموت - إن كنا نموت- ونأخذهم معنا، والله سبحانه سينا على كل ذلك. أنا لا أدافع عن الطفل داخلنا (أو خارجنا) منفصلاً، لكنه (الطفل داخلنا) أحد ركائز مكونات حركية وجودنا التي نكتمل بها، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر (والأفضل أن يكون غير مباشر)

أحمد منصور

ربما (لافتقادي الطفل الداخلي) انتابتنى رغبة شديدة في البكاء، وامتلكت نفسي وخرجت الدموع حيرا في كلامي المسخ

د . يحيى

يا شيخ حرام عليك، وصلني صدقك وإصرارك وحيويتك، ربنا يبارك فيك "لنا معا".

أحمد منصور: (الجزء الرابع) العيد، والناس، والحب، وربنا بعد أن ذهبت الى صلاة العيد ورأيت الأطفال لم أبتسم، ولو رغبةً مني في العودة إلى الطفولة

د . يحيى

أنا عمري ما تمنيت أن أرجع للطفولة! (أعمل بها ماذا؟! . هي فترة - برغم جمالها- أعجز عن الفعل المسئول القادر على أن يحافظ على استمرارنا أحياء، ناهيك عن تطورنا، بل هي أعجز من أن تحمي نفسها، الشطارة أن نفجر طفولتنا "الآن فينا" لنكتمل "بها لنا".

أحمد منصور

.... لا أعرف لماذا أعتقد أن هذا الطفل الذي بداخلي قد مات. مات مني أثناء بحثي عن عمل، أو مات مخنوقا من زحمة المواصلات، مات من الضغط النفسي، مات من البكاء، لقد تأكدت أنه مات لأنه كان الدافع الوحيد لحينني لطفولتي

د . يحيى

قلت لك، وأكرر: إنه لا يموت، وليس دليل حياته هو أن نظل نرغب أن نرجع أطفالا، بل الدليل هو دوام قدرتنا أن نتفجر أطفالا مسئولين، ويمكن أن ترجع إلى يومية (الطفل: "مشروع" يحمل كل النقائص!! فلا تحتزلوه!! 6-10-2007) حتى تتعرف على موقفى الصعب من نقد الطفولة المنفصلة من ناحية، و أيضا بالنسبة لأملى في "تكامل" يحوى الطفولة نضجا من ناحية أخرى .

أحمد منصور

...أعتقد يا دكتور يحيى أن الطفولة بداخلنا، التي تضني نفسك بحثا عنها، لم تعد موجودة قد نتذكرها، ولكننا فقدنا الشوق لها، وإن اشتقنا، فهو فقط هروب من الواقع

د . يحيى

عندك حق نسبيا، لكن المسألة - كما ذكرتُ حالا - ليست أن

نشاق لطفولتنا أو لا نشاق، أنا أكره أن يُفهم موقفي من الطفولة، ومحاولتي إحياءها على أنه دعوة لبراءة ساذجة بلهاء، الأمر الذي أرجح أنه هرب من واقع مؤلم، لا أكثر.

أظن يا بوجميد، أن هذه المسيرة الطبيعية التي أعينها قد وصلت إلى من "مئى حلمى" فهي قد أوجزتها فيما أسسته "بناء نفسها" نحن لا نرجع إلى الطفولة، نحن نبني أنفسنا بها، مهما كان ألم النمو، تعالى نستمع إلى مئى وهي تعلق على نفس المقال:

مئى حلمى

... أنا أيضا تأملت بدلا من أن أفرح..
و لكننى ما زلت أأمل في بناء نفسي..
أشكرك على مساعدتي لفهم بعض أبعادي..

د . يحيى:

ياه، يا مئى!

لو لم أكتب هذه اليومية إلا لهذا، لأسمعك تأملين وأنت تقولين: "بناء نفسي" (لا "معرفتها" ولا "البحث عنها"..
كما اعتدنا أن نردد)

ثم قولك: "فهم بعض أبعادي"

ومن ذا يستطيع يا مئى أن يفهم كل أبعاده،
إن بناء النفس هي تجميع نبضها المتصاعد دون توقف،

شكراً،

ثم اسمح لى يا مئى أن ننقل إلى الصديق رامى الذى يبعثرنى بخطاباته المتلاحقة، وهو ينتقل من موضوع إلى موضوع بتدفق يضطرنى إلى انتقاء واختزال بعض ما يرسل بما يشككنى في فائدة الحوار هكذا، لكننى أشعر أننى مدين له بشئ ما.

د . يحيى

أهلا يا رامى، ترى متى تكف عن إطلاق طلفاتك المتلاحقة المتزاممة هكذا، أشكرك يا رامى واسمح لى أن أقول لك أننى أطمأنت أكثر حين نحت في بعض كتاباتك أنك تعمل عملا منتظماً غير الرد على هذه اليومية بهذا التداخل السريع حتى أنك لا تترك مسافة بين الكلمة والكلمة في كثير من الأحيان، هات حديثك أولاً عن موضوع الأخلاق.

رامى عادل

أنا بالذات لازم يا غش يا عُشش، يا ابقى حمار... .

د . يحيى:

حلوة هذه!! الأرجح عندى أن إعلانك ذلك ليس تقريراً، وإنما هو تنبيه لما تشعر أنك مضطر إليه، هدئ من حماسك يا رجل، وقل لى بربك، ما دمت تتحدث عن مقال "إعادة النظر في منظومة القيم": هل وصلتك كيف تكون "الدهشة فضيلة"؟ أشعر أن هذه القيمة من أعمق القيم، وأغمضها فى آن.

رامى عادل

الدهشة ممكن بس، ماروحتى في أبو بلاش،

د . يحيى

الدهشة فعلا يا رامى .. تهدد بأن نرى الأشياء - معظم الوقت- وكأنها جديدة على وعينا، وبالتالى لو تمدت هكذا.. يمكن أن "نروح في أبو بلاش"!! أنا معك في الخوف من فرط الدهشة الأمر الذى قد يجعلنا نتمادى حتى يرى الواحد "نفسه أنه ليس هو"، حتى تنكر الفتاة أباهها فعلا في حالة المرض، أو ينسلخ أى منا من نفسه، وهكذا، إن هذا يعدّ أعراضا مرضية صريحة، وكل هذا يخرج بالدهشة عن كونها فضيلة، يبدو أن المهم هو ضبط الجرعة و تحمل مسئولية ما يترتب على الدهشة من تغيير خلاق.

ولكن دعنى أداعبك، وأشهدُ الأصدقاء على بعض شطحك

رامى عادل

... أخيراً وصلتك يا مرسى، إن شاء الله جايلك بكره، وباحب الحلم اليومى

د . يحيى:

لم أفهم جيدا ما تقصد، لكننى توقفت هادئا آملاً أمام .. وباحب الحلم اليومى" وصلنى أنه غير حلم النوم، وغير أحلام اليقظة، لو أن اليوم العادى أصبح حلماً واقعياً، إذن لتغيّر وجه الكون، هل هذا ما تقصده؟ لا أظن، لأنك تتمادى بعدها في الشطح جدا

رامى عادل

يا د. يحيى، ما اقصدش، أناعايز أخرج من الشرنقة، أنا عايز اشوفك من غير ما أقلدك من غير ما أكون أنت

د . يحيى

أوافق مائة في المائة، يرعبنى من يتصور أنى أفرح حين يصبح هو مثلى وهو يتبع نهجى، ذات مرة تكلمت-شعراً- عن "دربى" الخاص، ورفضت أن يسلكه من يتصور أنه مثلى، قلت في ذلك على ما أذكر "المثلى: لا يسلك إلا دربه"، يحفره بأبن الوحده.

لكن دعنا يا رامى نواصل عملاً يومياً روتينياً، وأرجو أن نحرس أن تفك الكلمات وتبعدها عن بعضها البعض حتى أستطيع أن أتابعك، أنت أحياناً ترسل السطر كله كلمة واحدة يا رامى بلا أى مسافات، أنا لا أعرف كيف أنتقى من رسائلك المتدفقة المتداخلة ما أصنع به حواراً، لا جدوى من كل ما نقول، ولا أمل في حلم يومى إلا إذا خرج من "واقع يومى"

هيا بنا يا رامى نستمع إلى "دون كيشوت أسترااليا" ابن أختي محمد.

د . محمد الرخاوى

.... الرجوازية المعشقة في النفوس العيانين، تكبر وتضرب في مقتل، تحول البنى آدميين إلى دود.

د . يحيى

طيب و"بعدين"؟

د . محمد الرخاوي

... فتلاقى كل واحد عايز ياكل في بير سلم أو في فيلا، ومايفكرش لا في اللي خَلَفُهُ، ولا في مصيره ولايكن حتى في بنى جنسه

د . يحيى

وأنت يا محمد (وأنا)؟ ماذا نفعل بمجرد التفكير هكذا؟، وهذا الكلام؟ وحتى هذا الحوار؟

د . محمد الرخاوي

.... الحكاية كلها دود بياكل، ويقولك نعمل مترو أنفاق، وكبارى وضريبة مبيعات عشان الدود يعيش

د . يحيى

لا لا لا كفاية يا محمد، أنت تكرر أكثر من احتمالى يا شيخ، ومع ذلك سأتركك تكمل بعض بعض ما أرسلت حتى نشهد الأصدقاء على إصرارك على نفس النغمة، وعلى ميرر اعتذارى منسحباً.

د . محمد الرخاوي

هى الحياة زحمة عربيات واقفة بالساعات في وهم كبير؟ هى الحياة عدد جامعات؟ مفرمة بتدخل 4/3 جهلة تعملهم قشور العلم وتخرجهم من الناحية الثانية مفرومين، أفندية، عايزين يجيبوا السيارات البرجوازية؟، ولأ شقة في الخى العاشر؟ أما المهمة مش مهمة، لأنها كلها "دود" عايز ياكل في فضلة خريك، طب بس هو فين خريك؟ هو خريك في التعريص والهوان وقلة النخوة والتسقيف لكل حاكم بيخوزق في المحكومين

د . يحيى

.... يكفى هذا يا ابن أخي، حرام عليك يا شيخ، هيا نفكر معا في بداية الخلاص، كل من موقعه هيا نتوقف عن كل هذا السباب "في الخلل"، هيا، نفكر ربما معا..

د . محمد الرخاوي

... اللي فاهم أو يفكر يبقى مجنون، أو بالكثير مخصى فالخصى في الزمن ده نص الجدعنة.

د . يحيى

سوف أنتقى آخر مُقْتَطَفَيْن من تدفقك "الدون كيشوتى" هذا: واحد عن العرب، والثانى عن الغرب، والفرق نقطة على العين حتى يعذرنى الابن د. كريم المتعاطف معك، وحتى لا يتهمنى بالتحامل عليك، هات ما عندك عن "العرب"

د . محمد الرخاوي

.... العَرَبُ جَرَّبَ وحياتك، وانت فاهم واللى خلقك، معظمهم زى المعيز بس المعيز بتجيب لبن أو حتى ترعى في ...

د . يحيى

طيب شكر الله سعيك، والعَرَب؟

د . محمد الرخاوي

نيجى بقى للغرب "المهتوكين" (بدلا من الكلمة الأخرى التى استعملها لأنها غير صالحة للنشر!)، فالدود هناك شياكة، وكل دودة اشرت لها عربة تقعد تلف حوالين نفسها بس برضه بتموت وهى دودة، يا خلق هووه فوقوا بقى ولا انشالله عنكم ما فقتم دى الحياة راح تفوقكم، والدنيا لازم تكون زى ما ربنا خلقها، بس يعيش فيها اللى يستاهلها!

د . يحيى

إلى هؤا مين؟ الله يسامحك

د . محمد الرخاوي

... دعنى أؤكد لكل من يتعاطف معى أن أبلغه أنى هاجرت بجسدى فقط لأن همى هو الوعى الوجودى كله

د . يحيى

لا ياشيخ!! الله نور!! كيف؟

د . محمد الرخاوي

أى قادم جديد إلى هنا أسأل نفسى هل سيرى ما أرى. هل سيبيع نفسه بثمن بخس دراهم معدودة؟

د . يحيى:

فماذا تنصح الابن د. كريم المتعاطف معك؟

د . محمد الرخاوي

أقول له: قبل أن تهاجر فلتسأل نفسك أولاً: هل أنت هارب من نفسك أم أن هجرتك موضوعية وهمك مهاجر معك؟؟؟

د . يحيى

طيب وأنت؟

أنت تتصور أن همك هاجر معك، فهل همك هذا هو الذى علمك أن تنطلق هكذا تصلح الكون "بالشئمة" ثم تختم كلامك كل مرة أنه "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام" طيب ازاي؟ تحديدا: كل واحد منّا كل ثانية، يعمل ماذا؟ "ليبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام"، ماثلا دافعا في وجهه؟ نقولها ألف مرة ولا نعرف كيف. هل عندك شئ محدد.

د . محمد الرخاوي

... فلنقتل في داخلنا وخارجنا معنويا كل ما يجعلنا نُشرك بالله، ويمكن أن يكون معنى قتل الخضر للطفل (بأمر مباشر من الله) هو أمر من الله لنا بقتل أى شئ يجعلنا نشرك.

د . يحيى

فلماذا رفضت ما وصلى من أن قتل الطفل البدائي المنفصل داخلنا يمكن أن يكون هو المقصود بأمر مباشر من ربنا، مثل هذا الأمر المباشر من الله لانقاش حوله، لكن من حقنا أن نفهمه بطرق متعددة .

د . حمد الرخاوي

.... لتتذكر أن الله يريد أن يرحم الوالدين وليس الطفل

د . يحيى

الله سبحانه - يرحم الجميع- وهو لا يرحم الوالدين على حساب الطفل، ولا يطلق للطفل سراحه مستقلاً على حساب حركة نضج الوالدين إليه، إلى الله، إلينا، الله خلقنا لتكامل بكل ما فينا، ومن فينا فإذا أصرت طفلنا داخلنا أن ينفصل ليقود المسيرة، فالله الغني عنه، نشأه، نقتله مؤقتاً، نستغي عنه مرحلياً حتى نروضه لنكون معه "إليه" سبحانه وتعالى! هذا ما وصلني من "زكاها" يا محمد، يعني "نماها" من النمو، نماها "بفجورها وتقواها" معاً، لنكون معاً "نحن" في الداخل والخارج: "إليه" سبحانه.

يا محمد: هل عندك وقت نستمتع معاً "لأسماء" وهي أول صديقة لهذه اليومية، وهي صغيرة طيبة صادقة، ثم إنها تبدو عكسك تماماً.

أسماء

ما فائدة هذا البحث (إعادة النظر في منظومة القيم والأخلاق) إذا كنت شخصاً عادياً، أليس ممكناً أن أكون مخطئة في ما أقرره في هذا البحث؟

د . يحيى

يا أسماء، من حقك أن تحطئي، والعالم الذي لا يخطئ ليس عالماً، العُلم لا يكون علماً إلا إذا قيل الخطأ والتفنيد، أما الفائدة فهي أن نتعلم أن البحث العلمي هو حق الشخص العادي، وليس حكراً على العلماء، وأن التفكير النقدي هو البنية الأساسية للبحث العلمي.

أسماء

هل كل فرد سيعمل على تلك الموضوعات (منظومة القيم) كلها ام ان كل فرد يأخذ جزءاً منها؟

د . يحيى

كل واحد واحتماله، وكل واحدة وشطارتها، والله الخاسب ما رأيك نبتدع شعاراً يقول: "من كلِّ بحسب اجتهاده، ولكلِّ بحسب كدحه!"

أسماء

ما المدة المحددة لإنهاء هذا البحث؟

د . يحيى

المدة هي نهاية أعمارنا (وليس عمرك أو عمري وحدنا).

أسماء

هل النتيجة ستكون امام الكل؟ أم أمام الباحث فقط؟

د . يحيى

أولاً: البَحْث هم جميعنا معاً،

وثانياً: النتيجة هي جُمَاع ما نحاوله كلُّ على حدة وجميعاً

الطبيب أنه اختار الجنون، كانت صدمة شديدة لوعى جعلتني أعيد تقليد كل الأوراق.

د . يحيى

أخيرا يا أسامة!! شكرا، هذا يجعلني لا أمل من الاستمرار أو التكرار، ولكن ما علاقة ذلك بالإدمان؟

د . أسامة

.. خلال معاشة المتعافين من الإدمان و مصاحبة الانتكاسة ثم العودة ومع احترامى لكل التأثير العضوى الطاغى لكيمياء المخدر على المخ العضوى إلا أنى لاحظت عدة أمور **أولا:** ان الإدمان إختيار .. و أن الانتكاسة أيضا إختيار. **ثانيا:** أو أولا - ان الإدمان لغة حياة. **ثالثا:** ان الإدمان كما هو عرض لأسرة مريضة ممكن أن يكون أيضا عرض لمجتمع مريض. **رابعا:** فى قضية العلاج وجدت أن البصيرة بالمرض رغم أهميتها لا قيمة لها فى العلاج ما لم تتحول لفعل حقيقى. **خامسا:** إن الإرادة الحقيقية قادرة على تجاوز الأثر الكيمىالى للمخدر بل قادرة على إعادة تنظيم عمل المخ وموصلاته ومستوياته، شريطة ضبط الاتجاه والوقت الفعالم المناسب.

د . يحيى

أوافقك يا أسامة تماما على ما قلت حتى رابعاء، أما **خامسا** فدعى أصرح لك أنى خشيت أن تفهم الناس "الإرادة" بما يشاع عنها من إعلان شعورى وتعميم كلامى وما شابه. أحيانا أداعب المدمن قائلا: لا تشد إرادتك هكذا وأنت تحزق "حتى لا تنقطع منك، الإرادة - يا أسامة- التى تعيد برجة مستويات المخ معاً، هى القادرة على إعادة تنظيم عمل المخ (برجمته)، وهذه ليست الإرادة كما يعرفها الناس، دعنا نبحث عن اسم آخر لا يحضرن الآن، لكنه أقرب إلى "إتخاذ القرار متعدد المستويات معاً"، أسف، إنس هذا.

هيا الآن ننتقل إلى نقطة أصعب عن الوعى وتعليقك بهذا الشأن.

د . أسامة

الوعى حالة لها طعم ومذاق، حتى حالة وعى الموت "كل نفس ذائقة الموت".

د . يحيى

يا خبر يا أسامة!! أشكرك يا شيخ، لست متأكدا إن كنت تعلم مدى انشغالى حالياً بمسألتي **الوعى والموت**، ..، ليس فقط هذه الأيام، ولكن طول عمري، ولعلك تعلم كيف اختزل النفسيون (أطباء النفس، وعلماء نفس) موضوع الوعى حتى استبعدوه من الفحص، والدراسة أصلاً، اللهم إلا **"معرفة الزمان والمكان والأشخاص"**، **والانتباه**، **واليقظة!!!**، حاجة تدعو إلى الخجل يا أسامة!!، المهم أن الفلاسفة والشعراء والطبيعة الحديثة والمتصوفة والتطوريين لحقوا المسألة وهم يقومون بالواجب نحو الوعى والوجود والفترة معاً.

وصلت مؤخرا لربطة بين الوعي الشخصي، والوعي الكوني إلى وجه الله في علاقة كل ذلك بالسعي والكدح إليه حتى أنني فهِمت الموت من خلال بعض النقلات، مما لا مجال لتفصيله هنا والآن، وإن كنت أعرف أنني سأعود إليه يوما - إن كان في العمر بقية .

المهم أن يكون قد وصلك من كلام طارق ما نُورنا في هذه المنطقة، عن تعدد مستويات الوعي.

د . أسامة

... كل حالة حسب مستوى الوعي ضمن هيراركية متسعة الدوائر أو الخلزون أياً كان.

د . يحيى

الذي أتضح لي أكثر من نص كلام طارق هو أن "الدماغ" ليست وعياً جديداً، بقدر ما هي **دراية بالنقلة من وعي إلى وعي**، وأن تجدد ذلك باستمرار هو الذي يحقق للمدمن المطلوب، وهذا ما دعى طارق ذو السبعة عشر عاماً أن يقوم بكل هذا التجريب طول الوقت، فإعلمنا ما تعلمنا، شفاه الله.

د . أسامة

هل المطروح هنا مستويات الوعي أم مستويات اللذة والنشوة وإن كان من الصعب الفصل، وأيهما السبب، وإيهما النتيجة؟

د . يحيى

لا أظن، عندي أن "مستوى الوعي"، هو منظومة أشمل جداً، وإن كنت أوافقك على صعوبة الفصل، ولا بد أن نعود إلى ذلك معاً خصوصاً لو خصصنا يوماً أسبوعياً ثابتاً في هذه اليومية لمناقشة مسألة الإدمان باستمرار.

تعالى يا أسامة نستمع معاً لواحد من أصغر أبنائى يشاركنا الرأى فيما وصله حول الإدمان من نفس الموضوع وهو **د . كريم شوقى**

د . كريم

(مصادفاً للعرض الذى عرضته عن الدماغ الذى يعملهُ المدمن، وأن ذلك يعنى هو الوعي بالنقلة) **قال لي أحد المدمنين:**

... عارف يا دكتور كريم أحلى ضربة بتبقى هي اللى بعد العلاج عشان بتعمل أحلى دماغ.

د . يحيى

ياه، يا كريم! بالضبط!! هذا هو ما أردت توصيله من هذه الحالة، بالضبط، إن "الدماغ" هو الوعي (الدراية) بهذه النقلة، هو ليس حالة الوعي الجديد، وهذا ما قلته للدكتور أسامة عرفه حالاً. لقد لقطتها يا رجل، شكراً لك (ولطارق شفاه الله) .

السبت 27-10-2007

57- التحكُّم، والخوف من فقد (الأخير)

اللعبة التاسعة

لا ياعم دا أنا لاعم نفسى بالعافية بس دا ما يمنعش انى ...

اللعبة العاشرة

لازم أعرف أنا فين وأنت مين قبل ما أسيب ما هو برضه ...

ضيوفنا الكرام هم نفس ضيوف حلقة "التحكم والخوف من فقدته" (من برنامج "سر اللعبة" بتاريخ 30-3-2005) وقد نشرت الحلقات الخمس الأولى بتاريخ (اللعبة 1 يومية 3-10) والثانية (لعبتان الـ (3،2) يومية 10-10) الثالثة (اللعبة الـ (4) يومية 10-14) والرابعة (لعبتان الـ (6،5) يومية 20 - 10) والخامسة (لعبتان الـ (8،7) يومية 22 - 10)

السيدة: مئى، كلية الفنون الجميلة

الأستاذ: فوزى، مدرس تربيته فنية

الأستاذة: سوزان، صحفية

والدكتور: هانى مدرس مساعد (طب نفسى) جامعة 6 أكتوبر

ملاحظات مبدئية

هذا هو الجزء الأخير من هذه الحلقة، ولا أعرف إن كان المتابع لها قد استطاع أن يصبر علينا هكذا أكثر من شهر وهو يربط بين الحلقات المتتالية أم أن الخيط قد فقد منه، ونحن السبب، سواء كان هذا أو ذاك فليعذرنا الزائر/القارئ فنحن ما زلنا نجزّب وننتظر اقتراحاته، وإلى أن نصل إلى ما هو مناسب له ولنا، ننصحه، وخاصة إذا كان زائرا جديدا، أن يرجع إلى الحلقات السابقة في أرشيف هذه اليومية (أنظر عاليه).

كما ننصحه بأن يطبع هذه الحلقات، أو يقوم بنقلها إلى حاسوبه ليقرأها مجتمعة، ثم يرسل لنا تعليقه إذا تفضل.

والآن إلى نص اللعبة التاسعة

لا ياعم دا أنا لاعم نفسى بالعافية بس دا ما يمنعش انى ...

أ/سوزان: يا دكتور هاني لا يعام دا أنا لامة نفسي بالعافية بس دا ما يمنعش اني اسيبها احيانا

د/هاني: يا مدام مني لا يعام دا أنا لامم نفسي بالعافية بس دا ما يمنعش اني زى الخزمة المربوطة اللي بتتفرط ...

أ/منى: يا دكتور يجي: لا يعام دا أنا لامم نفسي بالعافية بس دا ما يمنعش اني ساعات تحصل حاجات انا مش مسؤلة عنها، يعنى بتطلع كده غضب عنى

د/جيمي: أستاذ فوزى لا يعام دا أنا لامم نفسي بالعافية بس دا ما يمنعش اني انا اللي عامل كده ولازم التحمل المسئولية، وذنبى على جنى

الفوزى: عزيزى المشاهد لا يعام دا أنا لامم نفسي بالعافية بس دا ما يمنعش اني ادور على حقوقى شوية واسيب نفسى شوية

المناقشة

جيمي: فيه حاجة فى اللعبة دى محيراني شوية، حد يجب يغير فى الفاظها

أ/فوزى: انا نفسى اشيل "إنى"

د/جيمي: (معقول) ما علينا، هو انا اتخضيت أولا من حكاية لامم نفسي، بس دا ما يمنعش (خيل إلى) إن فيه تناقض شوية فى اللعبة.

د/هاني: التناقض اللي فيها مش (باين)

د/جيمي: بس انت قلت كلام مهم جدا (يا دكتور هاني) حكاية "زى الخزمة اللي بتتفرط"، أظن (قريب من) نفس الكلام اللي قالته "منى"، مش كده قولتى "بيطلع غضب عنى". إنما حكاية مسؤلة ومش مسؤول دى عايضة توضيح، الظاهر إحنا مسؤولين عن اللي بيطلع، وعن السييان، وعن اللم، مادام أنا لامم نفسي، يبقى انا مسؤول عن كده، كنت هاكمل: مش من حقى اشتكى (بس بلاش).

أ/منى: هو ممكن فيه حد يستفز اللي قدامه بحيث يخليه غضب عنه بطلع حاجات فى مواقف معينة

د/جيمي: برضه حتى وهو بيطلع غضب عنه، بيبقى مسؤول عن اللي طلع منه

أ/منى: ... ولا بيبقى خلاص خرج عن شعوره؟

د/ جيمي: لأ كلها مسؤولية: السييان مسؤولية، واللمة مسؤولية، أنا بيتهدأ لى هو ده اللي عاوزين نوصله للناس ونفسنا. على فكرة أنا ماباوصلش حاجة للناس، البرنامج ده بيختلف فى كده، إحنا مش بنوصل حاجة للناس بنوصل حاجة لينا، ومن خلال ما بنكون صادقين، والحمد لله الأمور مشيت بتروح

الناس على طول لاقطين، أنا أظن حكاية لامم نفس بالعافية واختلاف الاستجابات بتقول إن اللمة المطلقة مستحيلة، وإن فيه حاجة هاتفرط مني هاتفرط مني، وإذا انفطرت برضه أنا مسئول، وكمان أكتشف في نفسي إن اللمة زيادة عن اللزوم مسئوليتي.

أ/ فوزى: أنا رأيي إن هو مش حق من الحقوق.

المناقشة العامة

بشكل عام أشعر الآن أن هذه اللعبة لم تطف جديدا إلى ما ذكرناه في الألعاب السابقة، اللهم إلا شرحا ثانويا للمأمول من توظيف البرنامج لتعميق المسئولية، مسألة "غصبا عنى" شاعت في مجتمعنا بشكل كاد يصيح وبائيا، حتى ان من يتهمنا باللجوء طول الوقت لتفسير الأزمات، والسلبيات وبأنها من فعل فاعل (ما يسمى بالتفكير التأمري) يمكن أن يربط ذلك بشيوع الاعتذار بحكاية "غصبا عنا".

التعقيب: فردا فردا

سوزان

مازالت سوزان تبدو حكيمة، ومختارة في توقيت وجرة السماح بالسيبان

منى

تبدو هنا أكثر تبريرا لاحتمال السيبان الاضطرارى، الأمر الذى لا يمكن الجزم به على أنه اضطرارى.

د. هانى

تخلص د. هانى هنا من مهنته نسبيا حيث تشير إجابته إلى حجم الخزمة التى يربطها برباط بقدر ما يستطيع، لكن يبدو أن الرباط ليس كافيا، ترى هل الذى يخلخل إحكام الرباط هو مارسته المتزايدة للطب النفسى، وما يفعله المرضى بنا؟

فوزى

مازال فوزى يحسبها بجرصه الواضح، وهو هنا يربط بجته عن حقوقه بالتحكم، فى حين يربط السماح بالسيبان بعكس ذلك، وكأنه مازال يقاوم حقه فى السيبان فهو مازال كما هو: مدافعا مُجفا طيبا طول الألعاب العشرة.

د. يحيى

اعتراف د. يحيى بأنه "اللى عامل كده" ربما يشير إلى فعل الإرادة الواعية أكثر فأكثر ربما من موقع مهنته، أو عمره، أو إدراته للحلقة، أو كل ذلك.

اللعبة الثامنة:

لازم أعرف أنا فىن، وأنت من، قبل ما أسيب ماهو برضه.....

د/ هاني: يا استاذ فوزى لازم أعرف أنا فين وأنت مين قبل ما أسيب ماهو برضه إنت شايفني وأنا باسيب

أ/ فوزى: يا مدام سوزان لازم أعرف أنا فين وأنت مين قبل ما أسيب ماهو برضه السيبان ده عاوز حسابات، لازم يبقي فيه حسابات

أ/ سوزان: يا مني لازم أعرف أنا فين وانت مين قبل ما أسيب ماهو برضه الحرس واجب.

أ/ مني: يا دكتور يحى لازم أعرف أنا فين وأنت مين قبل ما أسيب ماهو برضه تتحملني في السيبان.

د/ يحيى: عزيزى المشاهد لازم أعرف أنا فين وأنت مين قبل ما أسيب ماهو برضه إيش ضمئى صحيح.

المناقشة

لم يعلق المشاركون بأية طلاقة أو تفصيل على هذه اللعبة، مثلما حدث في اللعبات التسع السابقة فكان علينا أن نناقش هذه اللعبة مباشرة على الوجه التالى:

المناقشة العامة

بدا لى أن هذه اللعبة الأخيرة هى بمثابة التكملة للعبة الثانية "لو عارف إن حد حايستحملنى يمكن اسيب نفسى" وأيضاً اللعبة السادسة "سيب أنت الأول وأنا ساعتها". الإضافة التى تضيفها هذه اللعبة هنا ربما تشير إلى: أن سماحى بالسيبان أمام آخر لا يكفى فيه أن أطمئن إلى أن هذا الآخر قادر على تحمل نتيجة سيبانى، وإنما قد يلزم -أيضاً- أن أعرف من هذا الآخر، حتى أستطيع أن أشارك فى تقدير إن كان يمكن أن يتحملنى أم لا، أما حكاية "أنا فين" فهذه جديدة فعلاً، لأنها تربط السماح بالمكان، وإجمال وقد تذكرت الآن، وربما وأنا أعدّ اللعبة تلك العادة اللطيفة التى يعملها بعضنا وهو فى الحمام حين يسمح لنفسه أحياناً بالغناء لنفسه بصوت مرتفع، الأمر الذى لا يقدر-عادة- أن يمارسه خارج الحمام، وكان التعرى ولو من الملابس بعض الوقت فى مكان مغلق، قد يسمح لنا بما لا نستطيع أن نمارسه فى مكان آخر. وكذلك "أنا فين" هنا قد تشمل أيضاً "إجمال" و "الحيط" وربما الوقت الذى يسمح بذلك.

التعليق فرداً فرداً

هاني

بدا أن تحفظ د. هاني وحرصه أن يعرف "من هو" هذا الآخر الذى سيسيب نفسه أمامه، هو بسبب أن هذا الآخر سوف يكون موضع سره، "ماهو برضه ... شايفنى"

فوزى

مازال فوزى أكثر أفراد المجموعة حسابات وتحسبات.

سوزان
لم تضيف سوزان إلا ما كررته سابقاً، وهو ما أكد تحفظها الهادئ "ما هو برضه الخرص واجب".

منى
لم تنس "منى" أنها توجه كلامها إلى الطبيب المسئول، وأيضاً هو المسئول عن إدارة الحلقة، فهي تذكره بواجبه أن يتحملها إذا ما سابت نفسها.

د/ يحيى
لم يختلف موقعه وحرصه عن اللعبات السابقة، فهو مازال - برغم موقفه هذا، أو بسببه- يطلب ضمانات أكثر فأكثر.

تعقيب ختامي على العشر لعبات (من التسجيل)

د/ يحيى: إحنا كده لعبنا عشر لعبات وأنا فعلاً مش عاوز أقول شاكر تاني. بس فعلاً أنا مطمئن ومبسوط، كثر خيركم ان انتم سيبتوا نفسكم. إحنا دخلنا في منطقه فيها كلام كثير وشعارات كتيرة وادعاءات كتيرة، ودائماً نتصور إن القهر من الخارج مش من الداخل، أثارى الرقيب جوانا محترم (زى ما شفنا)، فاللى عاوز يشتغل في الخرية بصحيح أظن مافيش داعي يحط كل حاجة بره، القضية حقيقية وداخلية قبل ما تبقى خارجية، ياريت كل واحد يكون طلع بحاجة جديدة وصلته من العشر لعبات على بعضها، نبلغها لنفسنا وبعدين يمكن تصل الى المشاهد ... من كل اللى عملناه

د/ هاني: يعني أنا من العشر لعبات وصلني إنني إتحملت الاختلاف في كل لعبة . اللعبة فيها حاجتين دائماً كنت باحس وأنا باقول إنى باهمل حاجتين، زى ما يكون دماغى إتخرقت، وأنا بعمل الحاجتين دول، يعني باقول حاجة، وباستحمل نقيضها جوايا يعنى.

د/ يحيى: حد (تاني) يجب يعلق على العشر لعبات على بعضها؟

أ/ منى: يعني انا لازم واحدة أحبها، لازم أبتدي بالمبادرة إن أسيب لها في العلاقة مابيني وما بينها، علشان أسمح بالعلاقة تكون ما بينا كويسة جداً، تحقق الغرض إن الواحد يعرف يسبب نفسه مع بعضنا.

أ/ سوزان: الملخص اللى أنا حسيته من العشر لعبات إن الإنسان . أنا أو الإنسان لازم نبتدي من جوه أن انا أنساب أو أعطي الخرية لنفسى من جوه لبره، وبعدين اعطي للأخر الفرصة إن هو كمان ينساب وينفتح وبكده ممكن العلاقة تصير في جو صحيح.

خاتمة

د/ يحيى: عزيزي المشاهد .. شكراً لتحملك مشاركتنا هذه المخاطرة المحسوبة، أرجو أن نكون قد نجحنا في أن نعرى نفسنا

ما أمكن، كما أرجو أن يكون قد بلغتك الخطورة المناسبة، كل واحد يحدد المساحة والتلقائية ويعرف إن من حقه يسيب، وإن مسؤوليته إنه يتحمل نتائج اللي طلع، وإنه عليه برضه مسؤولية عدم السيبان.

أنا هاقول العشر العايب تاني وباعزم عليك - عزيزي المشاهد (والزائر) - أنك تلعبها مع أصحابك، مع أسرتك، مع نفسك في المراية، (حسب ما تقدر)

اللعبة الأولى: ياخير .. دانا لو سبت نفسي .. يمكن

اللعبة الثانية: لو عارف إن حد هيستحملني، يمكن أقدر أسيب نفسي .. وساعتها.

اللعبة الثالثة: أسيب نفسي بتاع أيه .. ده أنا حتى ...

اللعبة الرابعة: سيبان بسيبان .. أنا ممكن إني

اللعبة الخامسة: حتى في الخلم، أنا مبقدرش أسيب نفسي على راحتها ... لحسن

اللعبة السادسة: سيب انت الاول، وأنا ساعتها

اللعبة السابعة: انا مش ممكن اسيب نفسي إلا لما اعرف اني ...

اللعبة الثامنة: اللي مانعني اسيب نفسي... هو ...

اللعبة التاسعة: لا يا عم دا أنا لأمم نفسي بالعافية بس دا ما يمنعش اني

اللعبة العاشرة: لازم أعرف أنا فين وأنت مين قبل ما أسيب ما هو برضه

وإلى لعبة تالية نرجو أن نصقل المنهج أكثر فأكثر، بالمحاولة والمراجعة،

وفي انتظار مشاركتكم دائما: نقداً وتوجيهاً واقتراحات.

- هذا التعقيب الختامي، كما في غيره من كلام د. يحيى، ليس بالضرورة هو التسجيل الحرفي، نظراً لاختلاف وسيلة توصيل الرسالة المراد توصيلها، فالأمر يختلف من الشفاهية للكتابة، لكننا حرصنا دائما على الالتزام بالهدف والمعنى طول الوقت.

الأحد 28-10-2007

58- السيرة الذاتية والإبداع

هرمان هسه وتجليات التعدد إلى التكامل (إليه..) (1)

لظروف اضطرارية، قرأت أمس عمل (رواية) "سد هارتا"،
"لهرمان هسه"،

هذه الظروف الاضطرارية ليست سراً، فهو الكتاب الذى سوف
نناقشه يوم الجمعة القادم 2-11-2007 في الندوة الثقافية
التي تعقدها مستشفى دار المقطم للصحة النفسية بالاشتراك مع
جمعية الطب النفسى التطورى، وسوف يقوم بمناقشته أ.د. مدحت
الجيار، وأ. هيثم عبد الفتاح.

طيب أين الظروف الاضطرارية؟

ذلك أننى كنت قد قررت -والأمر كذلك- أن أقاطع هذه
الندوة احتجاجاً على اهتزاز قيمها، وتراجع نظامها، الأمر
الذى التزمنا به شهرياً لأكثر من ثلث قرن (منذ 1974)،

كنا قد اشترطنا أن يكون العمل، قيد المناقشة، في هذه
الندوة، في متناول الحضور، وذلك قبل موعد الندوة بوقت
كاف، حتى تتم قراءته من معظم الحضور، وقبل التقديم، ومن ثم
يأتى التقديم إضافة نقدية، وتكون المناقشة جادة مثمرة، بما
يمكن به أن نحقق أهداف الندوة التي حددناها منذ البداية،
ذلك بعد أن تعاهدنا على ما يلى:

أولاً: ألا تكون الندوة صوتاً واحداً (المقدم أو المقدمان، مثلاً)

ثانياً: ألا تكون استعراضاً سردياً،

ثالثاً: ألا تكون مباحة موسوعية،

رابعاً: ألا تكون مجرد- احتفالية اجتماعية للمؤانسة غير المعلنة

إذن لماذا الندوة؟

تصورنا، (ورحنا نكرر ذلك بسخفٍ خوخ) أننا نأمل أن تحقق
الندوة للمقدمين والحضور

أولاً: إضافة معرفية (لا مجرد زيادة معلوماتية)

ثانياً: دعوة لإعادة النظر

ثالثاً: تحريكا للوعى (بأى درجة)

رابعاً: أملا في تغيير ما (كنا دائما نقول جدا كالهزل، أو هزلا كالجد، ولو واحد في الألف).

طيب، هل حققت الندوة بعد ثلث قرن أيا من هذا ؟

الإجابة : لا أظن

ولا أستطيع أن أنفى بإطلاق .

الذي حدث أن الحضور الأفاضل، ويتراوح عددهم حول الثلاثين، أصبحوا هم نفس الوجوه تقريبا ، ولا اعتراض على ذلك فهذا نجاح في ذاته، يضاف إليهم حضور (شبه إلزامي) للزملاء من الأطباء النفسيين والمعالجين والأخصائين العاملين بالمستشفى، هؤلاء وأولئك، برغم انتظام الحضور أخذ يتراجع التزامهم رويدا رويدا بما في ذلك الالتزام بقراءة العمل مسبقا، طبعاً هذا يرجع أساسا إلى خطأ من جانبنا (منظفى الندوة) لأن العمل المقدم عادة يكون صعب الحصول عليه (مع أننا نلتزم بتصويره إن كان غير متاح) بالإضافة إلى تقصير آخر، هو أننا كنا لا نخطر الضيوف الأفاضل باسم العمل ومكان نشره قبل الندوة بوقت كاف، وبالتالي لا يتمكن الضيوف من قراءته استعدادا للندوة .

حين لاحظت كل ذلك في السنوات الأخيرة، ثم شككت في مصداقية وجدوى الحضور الإلزامي للزملاء الأصغر (مع أنني اعتبر هذه الندوات مهما كان موضوعها بمثابة جزء جوهرى أساسى في تدريب الذين يعملون في هذه المستشفى باعتبارها مستشفى المجتمع العلاجي)، بدأت أقلق على مسار ومصير الندوة، وظلت هواجسى تتزايد مع التمدادى في عدم الالتزام، حتى أنني كنت أحيانا في بداية كل ندوة أسأل عن: من الذى قرأ العمل مسبقاً، أفعال ذلك وأنا أقول أحيانا (متصعاً المزاج) "اللى قرأ العمل يرفع إيديه" - حتى نهرنى ابني محمد (الذى كان مسئولا عن هذه الندوات الثقافية عددا من السنوات) باعتبار أن الحضور ليسوا تلاميذا في سنه ثالثة إعدادى، وليس من حقى أن أسألهم عن الذى "عمل الواجب" فتوقفتُ شكرا عن مثل ذلك

مرة أخرى : أين الاضطرار بعد كل هذا الحكى ؟

الذى حصل أننى حين بدأت كتابة هذه النشرة اليومية للإنسان والتطور في هذا الموقع منذ أول سبتمبر 2007 ، رجوت ممن أعرف من ضيوف الندوة. وهجمات الحضور الإلزامى أن يتابعوا ما أكتب، ما أمكن ذلك استكمالا لفكرة الحوار التى تتبناها الندوة، رجوتهم أن يتابعون ولو في البداية، حتى يصحون، ويوجهون إلى أن أستقر على منهج، أو أتعرف على المخاطب، أو أحدد الهدف، خاصة في مرحلة التجريب الأولى التى مازلت فيها حتى الآن، وانتظرت من أئى ممن وصلهم رجائى أى تعليق أو نقد أو إشارة، فلم يحدث أى من ذلك، فكررت الطلب وكتبت بعضه في بعض اليوميات هنا، ولم يستجب أحد، فطرحت على نفسى أسئلة على الوجه التالى:

- 1- ألسْتُ أنا هو هو الذى يحرمون على أن أحضر الندوة، لأحرك النقاش وأساهم في التعقيب؟
- 2- أليس ما أكتبه في هذه اليومية هو في نفس الإتجاه. ولنفس الغرض " تحريك الوعي والأمل في التغيير؟"
- 3- أليس الهدف في نهاية النهاية هو أن نتحرك معاً لنفهم فنعمل، كل بما تيسر له، أئى شئ، بأى قدر، لعل وعسى؟
- 4- أليست هذه اليومية هي امتداد مجلة الإنسان والتطور التى كانت تصدر فصلية، لتؤدى نفس الوظيفة التى تهدف لها الندوة والجمعية، لعلنا نحقق نفس الأمل في نفس الإتجاه، لنفس الهدف؟

بصراحة -وربما حاجتى الشخصية- اعتبرت أن الرد على هذه الأسئلة **جاء في سلبا**، من واقع هذا الصمت، والعزوف عن المشاركة في مناقشة هذه النشرة اليومية الإلكترونية مجلة الإنسان والتطور، وخرجت من ذلك بأن على أن أراجع من جديد ما وصلت إليه حال هذه الندوات، وتزايدت شكوكى في احتمال تحقيق أى من أهدافها (ولا أقول أحلامها) السالفة الذكر.

نتيجة لذلك، اعتذرت عن عدم حضور ندوة أكتوبر (2007 الشهر الماضى) مع أن موضوعها كان في بؤرة إهتمامى "**حكايات الدهلية**". مجموعة مختارة **من القصص الشعبية**. تأليف (د.فتوح أحمد)، هذا الموضوع يتصل مباشرة بباب "**مثل وموال**" الذى ظل يصدر طوال عشرين عاماً في مجلة الإنسان والتطور، وكنت أحرره بدون اسم، حتى جمعت بعضه ونشر في كتاب الهلال بنفس الاسم: "**مثل وموال**".

اعتذرت عن ندوة الشهر الماضى وأنا متألم أشد الألم، ذلك لأنها أول مره اعتذر فيها احتجاجا هكذا منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وتصورت أن هذا الاعتذار الاحتجاجى سيُحدث للقائمين على الندوة "صدمة" تجعلنا نعيد النظر في كل شئ، طبعاً كان هذا التصور مرتبطاً بفكرتى عن نفسى أننى لابد "**رجل مهم**"، وأنهم **سوف يفتقدونى جداً**، وأن الأمور سوف تنصلح، قال ماذا؟ نظراً لحرصهم على ألا أعتذر ثانية.

الذى حدث أنهم لم يسألوا في "**صحة سلامتى**" بالنسبة للندوة القادمة، انتظرت ولا صوت ولا خبر، حتى وجدت نفسى أننا أصبحنا في يوم 23 أكتوبر 2007 ولم يبق على الندوة القادمة (2نوفمبر 2007) إلا بضعة أيام، ولم يخبرنى أحد بموضوعها بعد، ولا أرسلت لى الابنة الكريمة سكرتيرة الندوة د. بسمه محمد نسخة مما سيقدم فيها، ولا هى استشارتنى في موضوعها كما اعتادت.

قلت في نفسى، هكذا تكون الإفائة (إفاقتى أنا) - يبدو أنهم - أخيراً استغنوا عن خدماتى، وأيضاً انتبهت أننى لابد كنت مغروراً في تقدير أهميتى، وحرصهم على حضورى .

ما علينا

تطفت على ابنتي د. بسمة وسألته عن موضوع الندوة فأخبرتني أنها رواية "سد هارتا"، لهيرمان هيسه!! يا خير يا بسمة!، أليس هو صاحب "دميان" الذي قدمته سنه 2005 ؟ قالت: نعم، وقدمنا له أيضا "أيام من حياتي" في نفس السنة تقريبا، قلت لها : "ولم لم تخبريني حتى الآن ولم يبق على الندوة سوى أيام، أين الكتاب؟

"أشفقت عليها خشية أن تكون قد تصورت أنني ألومها بصفتها الشخصية، ولم تقل لي طبعاً أنهم أو أنها استغنت عن خدماتي، ولا حتى أنها فهمت أنني قاطعت الندوات كلها فأشفقت أن تضغط عليّ، ولم تقل لي أيضا ما لا أعرفه. المهم وعدتني أن ترسل لي الكتاب، وأنا ما زلت محتجا -أو أبداً كذلك- مصراً على عدم الحضور

ثم ماذا؟

وأنا في هذه الحالة من الاحتجاج ("مقموص يعنى") وصلني الكتاب.

ولأن لي رأيا في رواية "دميان" أهديته في الندوة التي ناقشناها فيه، وأيضا في "هيرمان هسه" نفسه، ولأنه كان لي اعتراض شديد أن نعتبر "أيام من حياتي" هي سيرته الذاتية، لم أستطع إلا أن أزيح كل ما أمامي وأقرأ كتابه الجديد المقترح (يقال روايته!) "سد هارتا"، ووجدتني أنتهى منها في جلسة واحدة من فرط ما شدتني (مضطرا!!)،

استتبعت ذلك أنني وجدت نفسي: **أولاً:** أرجع إلى سيرته الذاتية المزعومة "أيام من حياتي"، وأيضا إلى دميان وأقرأها من جديد **وثانيا:** أقرر أن اكتب ناقدا هذه الأعمال الثلاثة معاً في هذه اليومية بهذا العنوان!! **السيرة الذاتية والإبداع: هرمان هسه، وتجليات التعدد إلى التكامل (إليه)!**

آسف!!! . . ما هذا ؟

انتهت "اليومية" قبل أن أبدأ في كتابة الموضوع

هل تنتظرون حتى الغد

آمل ذلك.

ملحوظة

برغم أنني ما زلت عند قراري ألا أعود للندوة الثقافية الشهرية (إلا مضطراً، يعني يتحايلاوا عليّ جداً جداً) فإنني أدعو كل زوار هذا الموقع حضور كل من الندوة العلمية الساعة الثالثة ظهراً والثقافية الساعة السادسة يوم 11/2 ومرفق مع هذا تفاصيل ذلك.

فإليكم الدعوة

الندوة العلمية الجمعة 2 نوفمبر 2007
تغير الذات !

"فترات باحس كأني في فيلم، أو كأني
باحلم.. باحس كأني باتفرج من بعيد على وعلى
اللى بيحصل..."

- هل سبق وأن عايشت مثل هذه الخبرة؟!
- ولو للحظات؟
- هل هذا عَرَض؟
- أم مَرَض؟

-وهل هناك داع للترفة، وما هي دلالات كل ذلك؟!
أسألة متعددة يجاب عليها في الندوة العلمية [الجمعة
الثاني من نوفمبر 2007]

تقديم : د. أحمد عثمان

Depersonalization

"Sometimes I feel as if I'm in a movie, or as if I'm
dreaming..,

or as if ,and from a distance, I'm watching my self and
what's going on..."

- Have you ever lived such experience?!
- Even if its for moments?
- Is it a symptom?
- Is it a syndrome?
- And would it be of value to differentiate?! And
what is the significant of all of that?

Answers to all questions will be found next scientific
seminar {Friday. Nov.2nd}

Dr. Ahmed Othman

سكرتير اللجنة العلمية: د. يحيى جعفر

* ملحوظة: الندوة العلمية بدار المقطم، هي ندوة
شهرية تقام يوم الجمعة الأول من كل شهر، وهي دعوة للحوار
العلمي تهدف أساساً إلى تناول المواضيع الإكلينيكية،
والتطبيقية بشكل عملي.

* تعقد الندوة الساعة الثالثة عصراً - بقاعة المحاضرات
بمستشفى دار المقطم للصحة النفسية 10 مدينة المقطم
25080223 - 5080876

يقوم أتوبيس خاص من أمام دار الحكمة - شارع قصر
العيني ظهر يوم الندوة - قبل الميعاد المثبت بساعة كاملة.

الندوة الثقافية الجمعة 2 نوفمبر 2007

تناقش الندوة كتاب:

"سد هارتا"

نثر من الهند

"وإذا ما أنصت سد هارتا بدقة إلى النهر هذا، إلى هذه الأغنية المتألفة من آلاف الأصوات، وإذا ما امتنع عن الإصغاء للألم أو الضحك وعن إقران نفسه بصوت معين من الأصوات وعن الغوص فيه، إذا ما استمع إلى الجميع، إلى الكل وإلى الوحدة، فإن نشيد الألف صوت العظيم يتألف من لفظ واحد: أوم، الكمال."

المؤلف: هرمان هسه

ترجمة: جيزلا فالور حجار

الناشر: مكتبة نوبل

تقديم: أ.د. مدحت الجيار - أ. هيثم عبد الفتاح

سكرتير الندوة: د. بسمّة محمد

*ملحوظة

تعقد الندوة الساعة السادسة مساءً - بقاعة المحاضرات، بمستشفى دار المقطم للصحّة النفسية ، شارع 10 مدينة المقطم.

59- السيرة الذاتية والإبداع: درمان هسه

تجليات التعدد إلى التكامل (إليه..) (2)

رفض نجيب محفوظ أن يكتب سيرته الذاتية، وفي رأي أن هذا من أفضل ما استن من سنن. من الذى يستطيع، أو يجرؤ، أو يعرف ما هى "سيرته الذاتية"؟ لن أدخل في تفاصيل هذه القضية فقد تناولتها بقدر كاف في ثلاثية ترحالاتي [الترحال الأول: الناس والطريق، الترحال الثانى: الموت والحزن، الترحال الثالث: ذكر ما لا ينقال] كما ناقشتها في مقدمة نقدي لأصداء السيرة الذاتية لنجيب محفوظ، وبرغم أن الكثيرين اعتبروا ثلاثية "الترحالات" سيرة ذاتية لشخصي، إلا أنني فضلت أن أتعامل معها باعتبارها أقرب إلى أدب الرحلات، بما في ذلك ما أسميته "رحلات الداخل والخارج، وبالعكس.

لكنني أذهب إلى أقصى الطرف الآخر حين أعتبر أى مبدع حقيقى لا يكتب (يرصد/يسجل/يشكل) إلا نفسه، إذ لا بد أن نعثر على المبدع في أعماله دون استثناء، وقد بلغ بي الاقتناع بهذا الفرض مؤخرًا أن جعلته يشمل كل أنواع الإبداع بما في ذلك الإبداع العلمى. هل يمكن أن يعنى ذلك أننا يمكن أن نتعرف على شخص أينشتاين في نظريته النسبية؟ إجابتى (أرجو لا تندم) أن "نعم" يمكن (تصوّر!)، هذه قضية تحتاج إلى عشرات بل مئات الصفحات لشرح بعض مداخلها، فلنؤجلها.

تأكد لي هذا الاحتمال الغريب (أن الكاتب المبدع لا يكتب إلا نفسه) أكثر وأنا أقرأ الأعمال الثلاثة التي أشرت إليها أمس لهرمان هسه: "أيام من حياتي" (ترجمة أحمد عمر هاشم طبعة 1999 الناشر دار سندباد للنشر والتوزيع)، ثم "دميان" (ترجمة عبده الرئيس، الناشر الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة آفاق عالمية) ثم "سد هارتا" (ترجمة جيزلا فالور حجار، الناشر دارالمدى للثقافة والنشر)، قرأت هذه الأعمال مضطربًا معًا في الظروف التي ذكرتها أمس، وحضرتني عدة فروض تتعلق بهذا الشأن، وأولها ما ذكرته حاليًا من: أن إبداع المبدع الحقيقى لا يمكن أن يخلو من سيرته الذاتية على مستوى ماء، وهذا شديد الارتباط بما أسميته "الواقع الإبداعي"، وبالنسبة لهرمان هسه، فإنني تصورت أنه يمكن من خلال قراءة من هو هو، وإلى أين، أن تحقق جانبًا هامًا مما يشغلني بشأن

طبيعة النفس البشرية ومسارها، من حيث البدء به: **تعدد مستويات الوعي** (الذوات داخِلنا وخارجنا) **في سعيها الدائب نحو التكامل المتمد،** والذي تسمى بأسماء مختلفة، لعل ما نبدأ به هنا هو اسم **"التفرد"** Individuation الذي استعمله كارل يونج، خاصة وأن هرمان هسه الذي غامر بأن يدخل خيرة التحليل النفسي شخصياً، وقد تم له ذلك من منطلق مدرسة كارل يونج المسماة بعلم النفس التحليلي analytic psychology. وليس التحليل النفسي psychoanalysis ليس المهم - في هذه المرحلة من التقدم- أن نناقش إلى أي مدى تأثر هرمان هسه بما خيره شخصياً أثناء التحليل، فاقنع به، أو عاشه (لا يمكن الجزم) فنضج في إنتاجه. ليس هذا هو المهم الآن (وسوف نعود إليه في **دميان**، وإلى درجة أقل في **سيدهارتا**)، المهم هو أن هسه نفسه قد عاش بذاته، وفي إبداعه، بما يدعم **فرض التعدد للنمو**، بما حفز أن أعيد تقديم هذا الفرض من خلال الجمع بين بعض سيرته الذاتية (أيام من حياتي)، وهذين العاملين الهامين، في هذه الأطروحة.

تعريف موجز جدا

• ولد هرمان هسه في 2 يوليو سنة 1877 وهو يصف ذلك بقوله " في يوم حار من أيام شهر يوليو 1877، ثم يضيف "... وحرارة تلك الساعة التي ولدت فيها، هي التي أحببتها بلا وعي"، ثم يفسر بذلك تفضيله للجو الحار وحنينه المتصل إلى الجنوب (الهند خاصة).

• يُصنف هسه على أنه شاعر، وروائي، (ورسام تشكيلي أحيانا)

• حصل على جائزة نوبل في الآداب سنة 1946

• هرب - طفلا - من التعليم العام

• ظل رافضا (ثائرا/محتجا/منسحبا/مبدعا) للواقع الخامد، والسلطات المغتربة.

• تزوج ثلاث مرات وأنجب ثلاثة أولاد من زوجته الأولى.

• مرض ابنه الأصغر مرضا شديدا ظهر في أعماله.

• مرضت زوجته مرضا عقليا ودخلت مستشفى أمراض عقلية ، وماتت

• كانت له مواقفه، ومشاركته ، وإسهاماته في مجريات عصره، وخاصة بالنسبة للحرب العالمية الأولى وما حولها

• ذاع صيته وانتشرت أعماله وترجمت إلى 54 لغة (على الأقل) حتى الآن

• بقية المعلومات وقائمة بأعماله يمكن الحصول عليها من أي موقع أو موسوعة

عودة إلى مسألة السيرة الذاتية والإبداع

ليست المسألة أننا بصدد دراسة مبدع بهذا الحجم لنصنف له، أو لنعريه، أو لنشخصه!، لكن الهدف من هذه الأطروحة

التي قد تمت مناقشتها لأسابيع أن نتعلم من مبدع بهذا الصق، وهذا الحدس، نتعلم منه ما هو السحر، وما هو الشعر، نتعلم ما هي الطفولة وما هو النمو، نتعلم ما هو الخيال الأوقع من الواقع ، وما هو الواقع الأكثر زيفا من أى حقيقة، نتعلم كيف تتجلى نفس الطاقة الفطرية بكل حركيتها النابضة التشكيلية في إبداع فائق، وكيف تصدم فتتأثر أو تشتت، ثم تتجمع ، نتعلم كيف ينحرف المسار بتلك الطاقة حتى يصل الأمر إلى جريمة لا يمكن تصورها -إلا خيالا- من مثل هذا الإنسان الصادق الرائع الجميل، وكيف يتقبل هو كل ذلك ولا يكف عن إبداعه وعطائه طول الوقت.

لا أطمع في أن أعطي كل هذه المناطق بما تستحق، كما لن أطبع هاجسا يغريني بالاختزال أو التقريب، فلنتفق على المنهج إزاء هذه المغامرة.

ابتداء سوف أقدم فرض (أو فروض الدراسة) بشكل عام (قابل للتعديل والتطوير لاحقا)

- سوف أقصر بحثي (في المرحلة الحالية) على هذه الأعمال الثلاثة السالفة الذكر
- أنصح الزائر (القارئ) الذى سوف يتابعنا أن يقرأ الأعمال الثلاثة بنفسه لنفسه بطريقته، (حتى قبل استكمال النقد) ، وان يصل إليه ما يصله بطريقته أيضا
- أرجو من المتابع أن يتحمل عدم الانتظام في النشر خوفا من التشويه أو التعسف (لو أرغمت نفسى على الانتظام جدا)
- أرجو أيضا من المتابع أن يعود إلى الحلقات السابقة، وهو يتلقى الحلقة الجديدة ما أمكن ذلك، ويا حبذا لو طبعها أولا بأول.
- آمل أن ينبهنا من يشاء إلى ما نخطئ فيه، أو نتجاوزه، (كلما عن له ذلك)
- أعلم أنها مغامرة أن يُكتب عمل نقدي بهذا الحجم (لا أعرف حجمه تحديدا الآن) بهذه الصورة المتقطعة، لكننى، وبمنتهى الصراحة، ورطت - كالعادة - نفسى حتى أنجزه، ولعلنى أتبع نفس النهج في معظم الأعمال النقدية التي لم أتمها أو أنشرها بعد، وإن كنت على يقين أنه بعد نشر هذه الحلقات، سوف يحتاج الأمر إلى إعادة كتابة، وإعادة تحرير، قبل أن يصدر العمل مكتملا.
- وسوف نكون معا غالبا (إن كان في العمر بقية)

تحذير

أرجو من المختصين فيما هو نفس، وبالذات الطب النفسى والتحليل النفسى، ألا ينتظروا من هذه الدراسة **تشخيصا**، أو ترجمة سلوك إلى **أعراض**، أو اختزال النمو إلى **عقد شائعة**، أو أيًا مما شاع عند من يتبع أو يتصور انه يتبع ما يسمى **النقد الأدبي النفسى** (يكن الرجوع إلى أطروحتى عن العلوم النفسية والنقد الأدبي مباشرة أو في كتاب تبادل الأقنعة)

تساؤلات الأطروحة

1. نحن لا نعرف الطفولة، فهل يعرفها هسه؟ يعرف ماذا؟ إلى أي مدى؟
 2. هل عاش هسه طفولته رغما عنهم، وهل ظل يحتفظ بها حتى نهاية حياته؟
 3. كيف تجلت الطفولة في ما تناول من هذه الأعمال الثلاثة؟
 4. نحن لا نعرف ما هو الشعر، وكيف يكون الإنسان شاعرا إذا أراد، أم أن هناك احتمالات أخرى؟ وهل نجح هسه أن يكون شاعرا، وهل استطاع إلا أن يكون شاعرا؟
 5. نحن لا نعرف الخيال، ذلك الواقع الآخر، أو الواقع الأول، ويبدو أن هسه يعرفه بما يتيح لنا أن نعيد التعرف عليه، ولكن إلى أي مدى يمكن أن يكون هذا الخيال (الواقع) بديلا، أو دعما، أو إبداعا؟
 6. نحن لا نعرف علاقة السحر الأبيض بما هو إبداع، ولا السحر الأسود بما هو إجرام، وهل يمكن أن يكون الإجرام إبداعا؟
 7. ثم هل من إضافة دالة فيما يتعلق بعلاقة المرض النفسي/العقلي بالإبداع؟، وبالعكس: ما هي علاقة الإبداع بالمرض النفسي (ويستحسن ألا نعتبر ذلك تكرارا)؟
 8. ثم كيف نقبل تعدد ذاتنا (مستويات وعينا) الذي تجلى في سيرة هسه وأعماله بهذه الصور المتعددة، لنتكامل به (بتعددنا) لا لنتأثر بسببه، أو لنهرب فيه؟ (كما يتجلى كل ذلك فيما نحن بصده)؟
 9. ثم هل ثم احتمال أن يساعدنا كل ذلك على مواصلة كدحنا إلى تكامل أعلى فأعلى، متجهين نحو وجه الحق سبحانه وتعالى، بلا توقف، ولا نهاية؟
 10. ثم كيف يساعدنا ذلك أفرادا وجماعات ونوعا في مواجهة أزمة الإنسان المعاصر؟
- أكتفى بهذا القدر من التساؤلات، التي لا أعد طبعاً بالإجابة عليها، اللهم إلا بما تيسر في حدود قراءة هذه الأعمال الثلاثة دون غيرها.

الفرض

- (1) الإنسان كائن له تاريخ، وهو يحمل كل تاريخه "هنا والآن"، وتاريخه مفتوح إلى ما لا نعلم.
- (2) الإنسان المعاصر متورط في إنجازاته الرائعة المغترية، ومن أخطرها سيطرة المستوى الأحداث طول الوقت، على حساب الأسطورة والخيال والإبداع والتكامل
- (3) الإنسان كائن مركب، متعددة مستويات وجوده، وعيه، دماغه، ذاته، وهذا التركيب يتحرك بآليات نابضة نحو تكامل ممتد (في الظروف الطبيعية)

- (4) الإبداع، خاصة الإبداع الروائي يعرى بعض تلك الحقائق، كما يضع لنا أسهما في الاتجاه الصحيح
- (5) المرض النفسي/العقلي هو الوجه الآخر السلبي لهذا التعدد، ومن ثم هو يمثل احتمال فشل المسيرة أو انتكاسها، لكنه يعلن حركيتها وتحدياتها أيضا.
- (6) التبادل بين المرض، والشذوذ، والشطح، والجريمة والإبداع وارد باستمرار.

العناصر (المحتملة مبدئيا)

1. الطفولة والخيال والواقع
2. السحر والدين والأسطورة والإبداع
3. تعدد المستويات (الذوات) والمرض النفسي
4. حركية الحياة وما هية الشعر
5. الحوار مع الطبيعة إلى المطلق
6. إبداع الذات والإيمان

استطرادات مثيرة

حتى لا تكون هذه اليومية اليوم مجرد عناصر وأسئلة وفروض، فضلت أن أهيها بإشارة مبدئية إلى بعض الأحداث التي توقفت عندها، وسوف أعود إليها لاحقا، لكنها قد تحتاج من القارئ منذ الآن بعض الانتباه الخاص قبل أن نصل إلى مناقشتها، ومن ذلك:

- إن هرمان هسه حاول الانتحار حول سن الخامسة عشرة
- إنه دخل مستشفى للأمراض العقلية آنذاك
- إنه عولج بالتحليل النفسي (مدرسة كارل يونج) عددا من السنين في سن 39 & 44
- إن زوجته الأولى أصيبت بمرض عقلي
- إنه بعد أن بلغ السبعين، ونال كل ذلك التكريم بما في ذلك نوبل، وكذا دكتوراة فخريية من هنا وهناك، استعمل - كما يقول- السحر الأسود لغواية طفلة، وحوكم، وسجن.

وقفة خاصة

هذه المعلومة الأخيرة -بالذات- لم أستطع أن أستوعبها في سياق ما وصلني منه وعنه، وقد رحت أبحث عن تفاصيل أكثر مما ذكرها الكاتب نفسه في "أيام من حياتي" في كل المتاح من مصادر على النت وغيره، فلم أجد أكثر مما ذكر، كما لم أجد أحدا من نقاده أو مهاجميه قد توقف عندها كما توقفت، وسوف أحاول أن أثبتها كما ذكرها بالنص ص 102

"..... قد ولدت ساحراً، وعن طريق لاوتسي وآي تشنج عرفت منذ فترة طويلة وبشكل أكيد طبيعة ما يسمى بالواقع الطارئ أو المتغير، ومن خلال السحر عاجلت هذا الواقع حسب رغباتي، وشعرت بسعادة كبيرة وأنا أفعل ذلك وأعترف أنني لم أقتصر على الحديقة المبهجة المعروفة بالسحر الأبيض، بل جرتي

تلك الشعلة الصغيرة الحية داخل، من حين لآخر، إلى ذلك الجانب الأسود من السحر.

وبعد أن تجاوزت السبعين من العمر، ومباشرة بعد أن اختارتني جامعتان لمنحى الدكتوراه الفخرية، قدمت للمحاكمة بتهمة غواية طفلة صغيرة باستخدام السحر. في السجن، رجوتهم أن يسمحوا لي بقضاء وقتي في الرسم، ووافقوا على ذلك، وأحضر لي الأصدقاء عدة الرسم والألوان، ورسمت منظرًا طبيعيًا على حائط الزنزانة، وهكذا عدت ثانية إلى الفن، ومع كل ما عانيته وتحطم كثير من الآمال، إلا أن ذلك لم يمنعني من استحلاب المتعة مرة أخرى من كؤوس الفن النبيلة، ومن إقامة عالم صغير جميل **كالطفل الذي يلعب**، ومن التمتع من كل قلبي بهذا العالم والتخلي عن كل الحكمة والمجردات الإنسانية والعودة إلى شهوة الخلق البدائية.

.....

... وكنت سأختنق وأصبح هباء في جهنم الأوراق هذه لولا رسوماتي التي أنعشتني وأراحتني، وتلك اللوحة المنظر الجميل الصغير الذي جدد لي الهواء والحياة. كنت أفق يوماً أمام لوحتي حين جاء الخراس مهرولين بطلب الاستدعاء الممل، وحاولوا انتزاعي من استمتاعي، شعرت في تلك اللحظة بالإرهاق والنفور من هذا الاستعجال، ومن هذا الواقع الخالي من الروح، واستغرقت وقتاً طويلاً لأضع حداً خزن، ولو لم يسمح لي بأن أعب لعبة الفنان الريئة دون إزعاج، لاستنجدت بتلك الفنون الأشد صرامة والتي كرس لها سنوات كثيرة من حياتي، فبدون سحر سيصبح العالم مكاناً لا يطاق.

استدعيت إلى ذهني التركيبة الصينية، ووقفت لدقيقة أكتب نفسي، وحررت نفسي من وهم الواقع، ثم رجوت الخراس بدمائة، أن يصبروا لحظات، لأنني أريد أن أعود إلى المشهد الذي رسمته لأجث عن شئ في القطار، ضحكوا بطريقتهم المعتادة، فقد اعتبروني مجنوناً.

ثم بدأت أصفر وأصفر، وخطوت إلى الصورة، وصعدت إلى القطار الصغير الذي سار حتى النفق المظلم، ولرهة ظل الدخان الأسود الذي يخرج من النفق مرثياً، يخرج مندفعاً من الثقب الدائري، ثم اختفى الدخان، واختفت الصورة وأنا معها

وظل الخراس واقفين تغمرهم حيرة كبيرة".

ما هذا؟

أين الخط الفاصل بين الواقع والخيال؟

حين انتقل هسهه فجأة وهو يحكى بعض سيرته الذاتية من ذكر التهمة إلى التواجد في السجن بهذه السلاسة، دون أي تعقيب أو نفى للتهمة، ولا هو ذكر أية تفاصيل أخرى إلا خبرته في السجن، لم أستطع أن اقبل أيًا من ذلك بنفس البساطة، وحين بحثت عن هذه الواقعة التي حسبت تاريخها فوجدتها بعد نوبل مباشرة تقريباً (... بعد أن تجاوز

السبعين) ولم أجد عنها في المصادر المتاحة أية تفاصيل أخرى، لم أرتح لقبولها هكذا كما هي، حتى أنني فضلت في هذه المرحلة من الدراسة أن أضعها بين قوسين، وخاصة أن موقف الحكى (سيرة ذاتية!!) انتهى بهذه النهاية التي جسدت له لوحته على الخائط حتى اختفت اللوحة واختفى هسه معها وظل الحراس واقفين تغمرهم حيرة كبيرة.

إن لم يكن الأمر كله خيالاً محضاً فكيف نتصور هذا المبدع الجميل الرائع يغوى طفلة بسحر أسود، ويحكم، ويدان، وهو حائز على نوبل، وهو في السبعين من عمره، وكل ما يحكيه حول هذا الحادث وما أحاط به من محاكمات هو سخف الإجراءات وغباء المكتبيين، ثم هذا الخيال الجامع الذي يحجو الواقع بكل هذا اليقين.

هو يسترسل وهو يصف كيف تواصل خياله مع الصورة التي رسمها على الخائط، والتي تجسدت له حتى صعد وركب القطار واختفى هو والصورة عبر الخائط؟

كان من الممكن أن أؤجل طرح هذه التساؤلات حتى أتأكد من مصداقية الحدث، بما في ذلك الرجوع إلى الثقة المختصين في تاريخ مثل هؤلاء المبدعين، إلى أنني فضلت أن أستغل هذه الطريقة المسلسلانية في النشر الإلكتروني هكذا، لأشرك الزوار والقراء معى في بحث هذه المسألة، فأطلب ممن يهمله الأمر أن يفيدين بأى تفاصيل تتعلق بهذا الغواية لتلك الطفلة، ثم هذه المحاكمة اللاحقة.

ما استفدته من هذه الحيرة المؤقتة، هو أن هذا المبدع فرض على موقفه من الخيال الواقع، والواقع الزائف، حتى أوصلنى إلى هذه الاحتمالات العجيبة.

هذه مجرد عينة من تحديات النقد المطروح.

الثلاثاء 30-10-2007

60- حكايات وآثار وأحوال (طبيب نفسي)

.... عن الفصام

وصلني من أصدقاء وزملاء أن "جرعة العناصر" والتساؤلات، التي ظهرت أمس كمقدمة لقراءة سيرة وشخصية "هرمان هسه" من إبداعه، كانت أكبر مما يتحمل زائر الموقع، كذلك كان الحديث عن المنهج، ثم إن طرح كل تلك الفروض بهذه الطريقة ربما تجعل الزائر، خصوصا الكسول أو المتعجل - يعرب عن إكمال الموضوع أو متابعتها، خاصة إذا ظهر في حلقات، وقد قبلت تنبيههم الكريم، فوجب الاعتذار.

هذا كله صحيح، ومهم، ولا بد أن أضعه في الاعتبار، خاصة وأن هذا الأسلوب قد تكرر مني، منذ بداية كتابة هذه النشرة اليومية: مرة وأنا أكتب عناصر (ومصادر) ماذا حدث للمصريين، ومرة وأنا أكتب عن إعادة النظر في إشكالية القيم والأخلاق، النتيجة أنه بدلا من أن تتزايد التعقيدات والمدخلات على ما كتبت وأكتب، تراجعته، إلا من هؤلاء الأصدقاء القلائل الذين أتصور أنهم مستمرون مجرد أنهم يصرون على العبد لله حتى "يرسى له على بر".

ستون يوماً مضت على ظهور هذه النشرة، ولم أستطع أن أحدد موقعها بين كل ما أكتب، ولم أعرف على الفئة الأولى بالخطاب من خلالها، ولم أستقر على جدول ثابت لأيام الأسبوع - كما حاولت "ذات يومية" - حتى ينتقى كل زائر ما يهمه في يوم كذا، ولا يشغل باله بسائر الأيام، ستون يوماً بالتمام والكمال، وأنا ما زلت مختارا مترددا لم أستقر، حتى وصلت إلى حالة ليست جيدة فعلاً، وأفضل ألا أصفها لو سمحتم.

هربا مؤقتا من هذا المأزق، قررت أن أوجل كل شيء آخر، بما في ذلك دراستي النقدية عن هرمان هسه، وخاصة بعد أن حصلت على كتب أخرى له، ومزيد من المعلومات عن بعض سيرته فتغير رأيي في سيرته الذاتية من خلال إبداعه بما يحتاج لمزيد من الفحص والتأن، أقول أوجل، ولا أعزف عن هذه الدراسة، وحتى أضعها - في دورها - في اليوم الذي خصصته للنقد الأدبي (يوم الأحد).

مازلت اقترح، وأطلب النصيحة في نفس الوقت.

الأقترح وقد سبقت الإشارة إليه: هو تنظيم أيام الأسبوع بدءاً بيومي **الخميس**: (نجيب محفوظ) و**الجمعة**: (بريد / حوار الزوار) ثم أخص **السبت**: حالات وأحوال (طب نفسي بدءاً بالفصام) و**الأحد**: "لسر اللعبة"، (ألعاب علاجية وكشفية)، و**الاثنين**: "الإدمان" (المعنى والتحدى) و**الثلاثاء**: "للنقد الأدبي والإبداع"، ثم **الأربعاء**: (ما ليس كذلك).

ربما يكون أوضح لو قدمت هذا الاقتراح في جدول كالتالي:

أقترح أسبوعي

السبت	إدمان (حالات أو تنظير)
الأحد	نقد أدبي (وإبداع)
الاثنين	سر اللعبة (ألعاب علاجية وكشفية)
الثلاثاء	طب نفسي (بدءاً بالفصام)
الأربعاء	يوم حر (ما ليس كذلك)
الخميس	نجيب محفوظ
الجمعة	بريد / حوار

ما رأيكم؟

لا، بصحيح! ما رأيكم؟

أعلم أنني أضجرتكم بكل هذا التردد، لكن لا بد أنكم اكتشفت أن هذا طبعي، ولعله من أساسيات وجودي، وأنا لا أرفضه، بل أعيد اكتشافه باستمرار، وهو قد يشير إلى جانب إيجابي مثل استعدادي الدائم للمراجعة، ثم إن هذه الخبرة لم تحل أبداً دون أن أواصل طريقى طول الوقت، لأقوم بعد كل عشرة أو وقفة أكثر حماساً وتصميماً، أو قل: **بعد كل موت، أنشط بعثاً**، وهذا بعض ما سوف أهديه لنفسي غداً بمناسبة خاصة: **أكتفى منها الآن باقتطاف ما يطمئنكم ويطمئني إلى احترام أي وقفة، وعدم الخوف من أي احتمال تراجع:**

يا سادتي هذا أنا، لما أزل

سيفي خشب!

لكن لؤلؤة الحياة بداخلي لا تنكسر

وبرغم واقعنا الغني

ينمو البشر

في ملعي

ومن قصيدة أخرى (محدثة):

"وكل صباح...

يزيح الجنين، ظلام الهروب الجبان

ينادى الوليد العنيد على الشمس .. هَيَّا

هَيَّا اتبعيني.

نهاراً جديداً"

عثرت على القصيدتين اللتين منهما هذين المقطعين، بينما كنت أقلب صفحات كتابي "دراسة في علم السيكوباتولوجي" لأبدأ موضوع الفصام في هذه النشرة اليومية، في محاولة الالتزام بالجدول المقترح، أليس اليوم هو الأثنين، وغداً الثلاثاء يوم الطب النفسي بدءاً بالفصام!!؟

... عن الفصام

الفضل في العودة إلى الكتابة في هذا الموضوع الأساسي الذي يمثل لي الفكرة المحورية في كل ما هو طب نفسي يرجع إلى ابنتي "د. أمان الرشيدى"، تلك الصعيدية الرائعة التي شرفت بتلمذتها على يدي هنا منذ سنوات، لتكمل -هى وشطارها- هناك في فرنسا كل ما تعد به وتقدر عليه، كانت أمان - وما زالت- كلما عادت في الإجازة السنوية تسألني هل كتبت كتاب الفصام، فأجيبها (وهي لا تنتظر الإجابة لأنها تعرفها) بالنفى، فتنتظر إلى نظرة الأم الممتلئة بالعباب دون قسوة، وحين خطر ببالي أن أخصص يوماً في هذه اليومية لما هو حالات وأحوال، وبدأت بالإدمان، تذكرتها، وحضرت اقتراح أن أخصص يوماً آخر أثبته للطب النفسي بدءاً بالفصام، وقلت: هكذا أخلص من إلحاح ابنتي الأم، وحين تحضر هذا العام، ستجدني إن شاء الله قد بدأت في عمل الواجب لعلها ترضى.

كيف أكتب في هذا الموضوع الجوهري، وهو يكاد يمثل "كل حياتي" بوجهيها الطبي والإبداعي، بما في ذلك إبداع ذاتي؟

قلت أبدأ بما سجلته في كتابي الأساسي دراسة في علم السيكوباتولوجي موضوع الفصام يشغل فيه 122 صفحة (من ص 321 حتى ص 443 شاملاً الموجز)، وخاصة وقد كنت عزمتم أن أصدر طبعة جديدة من هذا الكتاب الأساسي بعد أن مضى على صدور الطبعة الأولى ثلاثين عاماً، حاضر يا أمان، ولكن يا ترى هل أنت تريدين -وقد أصبحت فرنسية، بالإضافة لخلفيتك الإنجليزية وأملك الصعيدى طبيبتك المصرية- هل تريدين مني أن أكتب كتابي عن الفصام بطريقة أقرب إلى الطريقة التقليدية، حتى إذا تُرجم، وُضِل لمن تعاشرينهم الآن، ويهمك، كما فهمت يوماً، أن توصلي لهم فكرياً آخر لعل وعسى؟ انت تعرفين أنني لا أنتظر إجابة، وحتى لو أجبت فأنت تعرفين أنني لن أوافقك، وإن كنت سأضع رأيك في الاعتبار حتماً.

أقول لك يا أمان ماذا أنوى أن أفعل؟ وأرجو أن تساعدني في القرار المبدئي، وأن تعدليني أنت ورفيق ومن يهمه الأمر، أثناء سيرنا على الطريق.

أولاً: التزم بالفكرة الأساسية التي وردت في كتاب السيكوباتولوجي، طبعا بعد ما طرأ عليها من تحديث خلال ثلاثين عاماً.

ثانياً: أعيد تنظيم المادة العلمية بحيث لا ترتبط ارتباطاً مباشراً بالمتن الشعري (ديوان سر اللعبة)، كما كان الحال في الطبعة الأولى.

ثالثا: أنقل المتن الشعري إلى الهوامش إن كان ذلك لازما، ربما دون إشارة مباشرة إليه.

رابعا: أحاول أن أقدم "أحوال حالات" عن الفصام، إما أولا بأولا، وإما منفصلة، ثم أعود إليها حين نجمع المادة التي نشرت، ونعيد تحريرها في كتاب ورقي يصلح للترجمة إن شئت.

خامسا: أؤجل مرحلة الاستعانة بالمراجع، والاستشهاد بالتاريخ سواء بالموافقة أو المعارضة، وربما أترك هذه المهمة لك تحديدا، وليسرية (د. يسرية أمين يعني)، ومحمد يحيى و"كل من يهمه الأمر".

سادسا: قد أرجع - كما تعلمين - في كلامي في كل هذا.

والآن دعينا ندخل في الجد.

وأبدأ بأحوال هذه الحالة:

بعض أحوال: حالة عصام
(أعني: حالة فصام)

تنبهات أساسية: سوف أكررها في كل مرة لشدة أهميتها

1- لا تبحث عن أكثر مما كتبت، فالفكرة هي تقديم جزئية لها دلالتها، نعم هي "أحوال" وليست "حالات".

2- لا تتوقف عند الأسباب (بقية الأسباب) لو سمحت، اللهم إلا بما يسمح به "الحال" المقتطف

3- لا تربط التشخيص بالحالة، مهما بدا ذلك مغريا

4- لا تسارع بترجمة الأحوال إلى أعراض، حتى لو ذكرنا نحن في التفسير والتعليق أسماء بعض الأعراض.

5- كل الأسماء، وبعض الأحداث تم تغييرها (دون نص الألفاظ ودون المعنى الحقيقي لأبعاد الحالة) حتى لا يمكن التعرف على الحالة.

عصام

هو شاب (عمره 23 سنة) سوف نطلق عليه اسم "عصام" وهو الرابع من ستة أشقاء حاصل على ليسانس ماء، أعزب، من الوجه البحرى، لوالد بالمعاش من أوسط الطبقة المتوسطة، وجه مجرى، أمه ربة منزل.

المقتطف من شكوى المريض

في ثانية ثانوى ، ماكنتش بذاكر كويس ، وربنا عداها ، وأنا اعتبرته وحى .. ليه، لأن مين يقول كلام في نافوخك غير ربنا هو أنت تملك حاجة....؟! "

الذى قاله عصام ليس هو كل ما حدث بالضرورة، إذ يمكن أن يقوله المريض هكذا، وهو يعلن حقيقة

داخلية لم يكتشفها إلا بعد الكسرة ، أى بأثر رجعى، عصام سوف يحكى عن ما حدث آنذاك "حين عداها ربنا" بطريقة أعمق، وأخطر من اعتبار المسألة مجرد توفيق من عنده تعالى. ذلك التوفيق العادى يمكن أن يشعر به أى طالب حسن الحظ، أما أن يكتشف عصام بعد الكسر أن المسألة لها عمق أبعد، بلغة أصعب مثل: أن ربنا قال كلام فى دماغه، فهو ربما يشير إلى أن إجاباته التى أوجته كانت نتيجة ذلك، ثم تفلت المسألة منه .

إن هذا التأويل -بما استتبعه- الذى نسميه مرضا لم يؤلفه المريض من فراغ، وخذ مثلا تفسرى لهذه الجزئية "فرضاً":

إن هذا المريض قد تلقى لخطتها دلالة هذا التوفيق بأن الله سبحانه - بما يعرفه بفطرته - هو الذى جعل احتمال المعلومات information processing يترتب منتظما بنجاح وهو جاهز لذلك، فتخرج ، علينا إجابات فى الامتحان سليمة، إذن فهى ليست معجزة ولا وحيا، هى مجرد تفسير طبيعى،

ابتداءً علينا أن نختم كلام المريض (الامر الذى سيكون أسلوبنا هنا طول الوقت) هذا التفسير برغم اختلاف لغة المريض لا ينفى الخبرة التى وراءه

إن هذا الاختلاف إنما يرجع إلى: (أ) نقص الفروض (ب) اختلاف اللغة، "ربنا قال فى نافوخه" بمعنى أنه هو الذى أوجحه، وبالتالي فهو ليس تخريفا بقدر ما أنه التعبير الذى أستطاع به عصام أن يترجم الفرض الذى ذهبنا إليه .

يظل هذا التعامل مع هذا الحادث كامنا :

الظاهر يحمد الله على التوفيق الذى لم يكن ينتظره،

والداخل: يشعر بالفطرة التى تنظمت وتعاملت مع المعلوات وحفظتها وأجابت بها بفضل الله، وبفضل قوة حقيقية أكبر من تصوره لقدراته وتحصيله،

أما ما تلى ذلك، فلا يمكن أن نعتف بمشروعيته بما أنه قد ترتب عليه كل أو أغلب الشطح التالى حتى المرض العقلى الصريح.

ذلك أن عصام يكمل دون فاصل وهو يحكى حادثا حدث له بعد حوالى سنة، يكمل

"بعدين استمر الوحي فى قلبى اسمعه بقلبي... اللى يأمرنى بيه أنفذه، يقوللى إذن (الأذان) أذن .

(أنظر بعد)، ولكن دعونا نأخذ المقتطف كله على بعضه من أوله:

فى اجازة ثانية ثانوى، بابا كلفنى بترتيبات احتفال مناسبة لأختى، فرحت للمسئول بتاع الحفلات قعد يحرن ويقترح ويغير رأيه، فاتنرفزت عليه، بابا قاللى بتتنرفز عليه ليه، وطلع يكلم الراجل، قام الرجل اتنرفز على بابا، وكان حايضربه، فأنا طلعت عشان أضربه... بابا مسك إيدى عشان يهدى، وضربى بالقلم،... أنا ساعتها مافهمتش بابا

ضربني ليه ، استمر الوحي في قلبي اسمه بقلبي... اللي يؤمر بيه أنفذه.... وفي البيت قالو هو بيدن ليه؟ طيب يا جماعة دي حاجة طبيعية، انتو مش كلکم مسلمين؟ الوحي ده كان قوة دامغة إني أعمل حاجات كتير، ساعات تقوللي قلد صوت الديك، أقلد صوت الديك البلدى، وده معناه : حان وقت الانتصار.. الخ

ثم أخذ المريض يصف الأعراض الجسمية بدون أى فاصل زمنى بين الحادث المرشّب وظهور المرض بهذه الجسامة .

الحادث من وجهة نظر الوالد:

يحكى الوالد في موضع آخر، ليس ضمن شكواه من ابنه أو وصفه خالة المريض ، وإنما عند سؤاله عن "علاقته بالمريض يقول"

"أعزه أكثر مما يتصور، أعزه أكثر من أى شئ، أى شئ في حياتي .. بس مره ضربته قلم في وضع غير مناسب (ورفض الوالد ذكر أى تفاصيل عن هذا الوضع، ولم يعلم أن المريض ذكر لنا الحادث تفصيلاً) فضل بعدها سنة زعلان منى،

نلاحظ هنا:

(أ) - الفرق الزمنى بين الحادث كما ذكره المريض، وبين ظهور الأعراض، حيث تكلم كلاماً متصلًا رابطًا -ربطاً فورياً- بين الحادث والشطح (ظهور الأعراض الخطيرة وكأنها ظهرت فوراً بعد الصفحة) في حين أن كلام الوالد يشير إلى مرور عام زمنى على الأقل من الزعل والاحتياج.

(ب) نلاحظ أيضاً الفرق بين وصف المريض الحادث تفصيلاً، وبين وصف الأب له بأنه " ضربته قلم في وضع غير مناسب" مع رفضه ذكر أية تفاصيل

إنه بالرغم من فداحة خطأ الأب إلا أن الحادث في ذاته، يصعب أن يترتب عليه كل ذلك مما يدفعنا إلى النظر في خلفية العلاقة بينهما وإلا فلا سبيل لفهم، هذه الكسرة بهذه الفظاعة هكذا، ومن ثم لا بد أن ننتبه إلى كل من:

* تكليف الأب لهذا الابن بالذات يدل على ثقة ميدئية، واعتمادية متبادلة (من حيث المبدأ) (له أخوان أكبر).

* اختلاف الابن مع منظم الحفلات يدل على درجة من التلقائية والثقة بالنفس عند الابن.

* ثم إن الابن تقدم ليدافع عن أبيه أساساً بشهامة ورجولة

* لكن الأب - بدلاً من شكره لأنه وقف في جانبه ضد المتعهد المتجاوز حدود اللياقة-، صفعه أمام نفس هذا الشخص الغريب المختلف معه الذى تناول عليه.

كل ذلك حدث على ثلاث خلفيات

الأولى : علاقة قديمة بين الابن والأب ظهرت مبادئ فسادها

باكرا منذ المرحلة الابتدائية حين شكى الابن من صداع غريب (أنظر بعد)

الثانية: علاقة اعتمادية، متضاربة الوجدان بين الابن والأب.

الثالثة : **تنشيط لمستوى وعي داخلي** اعتمد على تنظيم فطرة داخلية، عزاها الابن لتوفيق الله سبحانه خالق هذه الفطرة، حتى نجح ضد حساباته الظاهرة لكن، المسألة شطحت منه - في مواجهة هذه الإهانة الكسر- حتى قفزت الأعراض إلى أبعد من كل تصور.

قبل أن نرجع إلى الحالة نود أن ننبه - تربويا- إلى خطورة مثل هذا التصرف بالذات

- (1) الصفع المفاجئ من على مسافة هو من أكثر أنواع الضرب إهانة
- (2) والصفع علانية هكذا أمام آخر هو أشنع
- (3) والصفع بلا ذنب آتئ يستأهل العقاب فوراً أكثر وأكثر بشاعة
- (4) ثم حين يتم الصفع في اللحظة التي يتوقع فيها الابن مكافأة، ما تصبح الكارثة بلا حدود
- (5) وحين يأتى الصفع من نفس الشخص (الوالدي) الذي كان الولد يعتمد عليه، ويتقمصه وهو يدافع عنه، فلا حدود للإضرار
- (6) وأخيراً وليس أخراً تتم الجريمة البشعة حين يكون الصفع أمام غريب، فما بالك لو كان خصماً.

نرجع للحالة

في هذه اللحظة بالذات حدث كسر في تركيبه الأساسية الداخلية لكيان عصام (دون ظهور أعراض صريحة بعد) مع أن عصام ربطها زمنياً بكلام مباشر يبدأ بالصفع مباشرة هكذا: مافهمت بابا ضربني ليه استمر الوحي في قلبي الصمعه بقلبي.. الخ، وسنرجع إلى ذلك

عودة إلى تفاصيل علاقة الابن بالأب، يقول الأب :

كان عصام يطلب حد ينام معاه عشان خايف ، فأنا أنام معاه، يقوم يزنق نفسه بعيد عشان يجترمني، ويجاف يلمسني ويسيب لي أكثرية الغطاء

يعقب المريض على ذلك بالتالي

"... حايستهبل حاستهبل ، مش جئين معايا، اشمعني، عصام ياخذ الدواء والباقي مايجدش، احنا كلنا مرضي، كان حنين على لما كنت صغير، هؤا جاب لي قلم وكراسة في ابتدائي وقال اكتب لي هما (إخوته) بيصلوا ولا لأ ، بيقرأوا قرآن ولا لأ، وخبالك هما بيصلوا صح ولا لأ، ويقرأوا صح ولا لأ، وكان يجيبلي تفاح، لذلك أخواتي كانوا بيكرهوني، وقررت أن ألعب الدور ده لحد ما أذنت (أحد أعراض المرض الخالي الأذان بناء عن أوامر هلوسية) بعد كده هانية (الأخت الصغرى 13 سنة) خدت الدور ده، بقت السكرتير العام لابوها بتنقله الكلام)

نلاحظ هنا كيف أن العلاقة بين عصام وأبيه كانت:

- (أ) تفضيلية
- (ب) سرية تجسسية
- (ج) اعتمادية (بيخاف ينام لوحده)
- (د) ابتعادية (الحفاظ على المسافة)

هذه العلاقة هكذا هي من أصعب العلاقات، ففي حين يحضر الأب في شكل سلطة لها معالم جامدة (قوية) يمثل في نفس الوقت إشكالاً سلطوياً يجمع بين تناقض الوجدان Ambivalence والشك في عمق الدعم، وغير ذلك.

عصام يعلن رؤيته :

بعد المرض، استطاع عصام أن يعلن الجانب الراض للوالد بوضوح حين وصف والده كالتالي :

"... كسلان، كذاب، نفسيته تعبانة، مش متهنى، عياطه مش عياط يعنى قلبه قاسى، ممكن يزور اخواته لمصلحة في نفسه واخواته أصلاً بيكرهوا بعض... الخ"

تنبيهات بها بعض التكرار

(1) هذه الصفة - رغم كل الخطورة التي ذكرناها حالا - لا تسبب مرضاً في ذاتها (إعملوا معروفًا كفوا عن هذا التبسيط)، وإن كان لا يمكن أن نقلل من آثارها الداخلية على أى واحد في هذه السن (ثانية ثانوى 17/16 سنة)، حتى لو لم تظهر هذه الآثار بهذه الصورة الخطيرة مباشرة عقب الحدث.

(2) الذى يجعل لهذه الصفة دلالة أكبر هو خلو الأسرة - في حدود المعلومات المتاحة - من أى تاريخ إيجابي للمرض النفسى (أو العقلى)،

(3) إنه لم تظهر الاستجابة لهذه الصفة - إلا بعد سنة من الخصام أو: **فضل بعدها سنة زعلان منى لكن يكلمنى، مع إن عصام بدا في كلامه، المتصل إعلان الأعراض الخطيرة فور الصفة.**

بعض التاريخ القديم من الطفولة:

يربط الأب بين عرض عابر اشتكى منه عصام في فترة المدرسة الابتدائية (نذكر أن هذه هي الفترة التي كلفه والده بالتجسس على إخواته) وبين المرض الحالى. يقول الأب.

العياء في أساسه خالص إنه حصل واشتكى من دماغه وقال دماغى بتوجعنى... الكلام ده كان في ابتدائى، رحنا لدكتور عيون وكشف عليه وقال مفيش حاجة فضل الموضوع تمام حتى الثانوية العامة، بدأ ينزوى ويقعد كثير منعزل، وماكانشى راضى يجس امتحان الثانوية، لكن أنا دخلته إجباراً ونجح وجاب الدرجات النهائية في الرياضة وقتها أطمنت إن موضوع ابتدائى ده ما أثرش عليه، في أجازة الثانوية رجع يشتكى من "الصداع تانى".

مع كل أخطاء هذا الأب، إلا أننا نلاحظ حدسه الدقيق هنا، فقد استطاع (أو حاول على الأقل) أن يربط بين المرض الخطير الخلق، وبين بدايات بعيدة وعادية (مجرد صداع)، ثم هو يعود يربط ظهور الصداع بعد اختفائه سنوات، وقبيل ظهور هذه الأعراض الجسيمة مصاحبة بالانزاوء في الاجازة، وهذه أمور قد لا ينتبه إليها حتى كثير من الأطباء .

نلاحظ أيضاً أن الإنجاز تحت ضغط، وهو جيد في ذاته، لا يدل بالضرورة على حلّ أي إشكال حلا جذرياً في الداخل، وإن كان قد يساعد في تأجيل الكسرة، إلى أجل غير مسمى.

حتى هذه المرحلة، وبرغم الحادث الخطير السالف الذكر ظل عصام يواصل دراسته .

ثم ظهرت أعراض وسواسية على الوجه التالى كما يصفها الوالد:

".. وبعدين كان فيه وسوسة، يعنى يمكس الكباية أو الطبق بغوطة عشان خايف ليكون وسخ، وما يستحمش غير بصابونته الخاصة".

في كثير من الأحيان تكون هذه الأعراض (التي تسمى عصابية- يعنى دون الجنون أو عكس الجنون أى ضد الجنون) بمثابة ميكانيزمات دفاعية تحول لفترة ما (ربما بصفة دائمة) دون الكسر الأخطر فالتفسخ، وقد تنجح هذه الدفاعات المرحلية في بعض الحالات فتحول دون ظهور الذّمان، وقد تفشل هذه الدفاعات نتيجة لشدة الضغط من الداخل، وفي نفس الوقت نتيجة لفقر الدعم الحقيقى من الخارج، وقد عولج هذا الوسواس. مجدس طي ومهارة من زميل يبدو أنه استشعر ما وراء ظهور هذه الوسواس في هذه المرحلة هكذا، فأعطى في نفس الوقت مضادات الذهان، لكن المريض توقف عن تعاطى العقاقير دون إذن الطبيب بعد تحسن نسي، فظهرت الأعراض الجسيمة:

يقول الأب

.... تعب تانى وانعزل وبقي ما يستحمش، ويكلم حد هو سامعه، وبدأ يطلع فوق السرير ويدن (يؤدى الأذان) ويمثل الديك الرومى في صوته ويتبول نواحي السرير لكن عمره ما اتبول فوق السرير ولا قدام حد...

نتوقف هنا لأننى أشعر أن الحالة أصبحت شديدة التعقيد وأقدم الفرض التركيبى الذى يمكن أن نكمل به فهم حالة الفصام هذه، بعد أن نقدم في الحلقة القادمة (الثلاثاء) بعض المعلومات الإضافية عن الأم، وتركيب الاسرة وزخم الأعراض.

الفرض:

شاب نشأ في أسرة مزدحمة شكلا، مُغرَّغة موضوعاً، تفتقد إلى أى دفء حقيقى يضم أفرادها إلى بعضهم البعض، لا يوجد بها

تاريخ عائلي إيجابي لمرض نفسي أو عقلي خطير، الوالد حاضر حضوراً جافاً ملتويًا، يعلم الأقرب إليه من الأولاد التجسس على الباقين، "عصام" ثم لاحقاً "أخته الأصغر"،

الأم كما سيرد وصفها في الحلقة القادمة ضعيفة سلبية متنحية مهورة ، جافة "متلصمة".

عصام -مثل أي واحد- داخل طبيعي سليم هو الفطرة (كما خلقنا الله) لكن أحداً لم يتعهدها، لا الأهل ولا المجتمع، هذه الفطرة تغطت بقشرة تربوية لامعة، لكنها -الفطرة- ظلت تتعامل من وراء القشرة مع ما يصلها من برجة بطريقتها البسيطة الصحيحة.

القشرة تنجح وتتم صفقاتها مع الوالد

والفطرة "تعرف" وتدرك، وتتعامل مع المعلومات باستيعاب سليم

تتصادم الفطرة مع القشرة في مرحلة باكرة (الابتدائية)

يظهر الصداق، ثم يجتفى ربما بالبعد بينهما (بين القشرة والفطرة) مع استمرار نشاط كل منهما.

تستمر القشرة في النجاح الظاهر، والصفقات الداعمة الخبيثة (بين الابن و الأب: التمييز والتجسس) وتستمر الفطرة في النشاط والتماسك والمعرفة السليمة والادراك الداخلي.

تنجح الفطرة حتى في برجة المعلومات والإسهام في أداء الامتحانات، فيفسرها الابن حامداً فضل الله، لكن يبدو أن الداخل تجاوز هذا المستوى سراً، وفي نفس الوقت أجل إعلانه.

حادث دال خطير يحدث بالصدفة يهز هذه التركيبة برمته،

يفسد الصفقة الخبيثة الجارية،

فتختل صورة الأب ليظهر على حقيقته بلا رجعه

فتفسد الصفقة،

فيحدث التباعد بين الابن والأب (الزعل: سنة) دون ظهور الأعراض بعد،

يجتنب الابن أباه، لكن الكسرة قد حدثت في الداخل ، فطالت الفطرة التي انفصلت، وارتدت، وانطلقت لحسابها البدائي متخفة القشرة منفصلة..

الفطرة وحدها لا يمكن أن تواصل إنجازاً واقعيًا ظاهراً إلا إذا تكاملت مع أجهزة الأداء السلوكي .

لكن الرسالة تصل أن القوة الفطرية الداخلية قد انطلقت بين شقوق الكسرة

تتعملق قوة الدفع ولا تتوقف عند حد استعادة تلقائية الفطرة وأحقيتها، بل تتفاقم حتى تنقلب الفطرة إلى تسليم قدرى أعمى،

ومن ثم تفقد الذات أبعادها تماماً،

يتضاعف التمدادى فى الانفصال وتتجلى سلبية مطلقة لقوى لم تعد هى القوى الضامة المساعدة، ولكنها أصبحت قوى شكلية هايدة من الجهول وإن لم تفقد فى شكلها الظاهرى معالم الوصلة وتظل فى نفس الوقت تتعامل بنفس الألفاظ "الأذان، واللغة الدينية المسطحة"

تشوهت الفطرة على أنقاض القشرة وظهر الفصام.

(وللحديث بقية طبعاً)

الإربعاء 31-10-2007

61- ... فى مثل "ذلك" اليوم: "وعد بلفور"

لأن غدا 1/11/2007 هو يوم نجيب محفوظ وبعد غد 11/2 هو بريد/حوار الزوار سوف نعرض لهذا الحدث، وهو حدث 2 نوفمبر، اليوم:

"وزارة الخارجية"
2 من نوفمبر 1917م

عزيزى اللورد "روتشيلد"
يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمان اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته:

"إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يكون مفهوماً بشكل واضح أنه لن يُؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى. وسأكون ممتناً إذا ما أحطتم اتحاد الهيئات الصهيونية علماً بهذا التصريح.

المخلص: آرثر بلفور

لم أقرأ هذا النص العبثى (وعد بلفور) بألفاظه المحددة هكذا من قبل!!

ما هذا؟

كيف؟

ما حكاية: "العطف على أمان اليهود؟" اسم الله!!
ثم يكرر "تنظر بعين العطف" اسم النبي حارسك!!

ثم كيف يكون هذا اللغو: "مفهوم بشكل واضح أنه لن يُؤتى بعمل من شأنه أن ينقص... الخ"، مفهوم لمن؟ "بأمانة" ماذا؟... وماذا حدث؟ الله يحبيكم كما خبينا!! الخ.

كلمات: "وعد"، "عطف"، و"أمان"، و"مفهوم بشكل واضح" كلمات تصلح لموضوع تعبير يكتبه تلميذ فى سنة ثانية إعدادى.

الذي يقرأ السياسة، قديماً وحديثاً، من خلال التصريحات والوعود، والمواثيق، لابد أن يعيد النظر في ذكائه عدة مرات، لم يعد يصلح ما ينشر علينا في كل القنوات الرسمية، والإعلامية، لتفسير أى من الجارى.

وقع في دائرة وعيى مؤخراً كتاباً، بعنوان: "المفهوم المادى للمسألة اليهودية"، وهو كتاب قديم صدر سنة 1946، ثم صدرت ترجمته أيضاً منذ أكثر من ثلاثة عقود 1970، ثم أعيد طبعها 1973، عن دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت، وبرغم ذلك، وبرغم التفسير المادى الأيديولوجى القوى المناسب مع تاريخ صدور الكتاب، فهو مازال واجب القراءة لفهم الجارى بدءاً بوعده بلفور.

المؤلف هو أبراهام ليون الذى ولد في أسرة يهودية .. كان الأهل في منزل ليون الوالدى يمثلون الصهيونية البرجوازية الصغيرة التقليدية. ولقد كان الولد يحس لدى أول احتكاك بالواقع جذب الأسطورة الصهيونية كنشوة دينية، لقد كانت الأسطورة قيد التحقق .. الخ"، لكن "ليون" نعى، ونظر، وأعاد النظر، وفهم، وفسر واهتدى إلى الرؤية الموضوعية التى فسّر بها المسألة اليهودية، نعم! نظر من زاوية المادية آنذاك حين كانت معظم الأفكار تجدها تفسيرا ماديا حتى نظرية المعرفة، حتى قام روجيه جارودى - مثلا- بالتفسير المادى لنظرية المعرفة، (أظن في أطروحته للدكتوراة) في باكر حياته ماركسيا، تفسير ليون، برغم قدمه، يفصح كل الجارى بما في ذلك "وعد بلفور" (يا ناس!!).

التاريخ لايعيد نفسه، والتفسير المادى أذى واجبه تماما، والفكر الموضوعى والتجربة والتطور تجاوزوه دون أن يلغوه أو ينكروا فضله، لكن ما نحن فيه الآن - عبر - العالم يحتاج إلى تفسير "تامرى"!! أكثر شجاعة وأمضى اختراقا.

الذى يجرى على الساحة في كل العالم يحتاج تفسيرا تطوريا ماديا بيولوجيا إيمانيا لتعرية شياطين البشر الذين يحكمون العالم من تحت الأرض، ومن شفرة مكاتب الشركات العملاقة، ذلك التعاون الوثيق بين رجال المافيا، ورجال المخدرات، ورجال المال الكاسح القاتل، كل ذلك هو ما يدفع بالعالم إلى الهاوية.

إنّ لم نستطع أن نفهم الحروب والمجازر والمعاهدات والمؤتمرات والمعاهدات من خلال هذا المنطلق، مهما اتَّهَّنا بالتفكير التأمرى. فلا جدوى من الإحاطة بما يجرى، أو مواجهته.

الذى يتناول المسألة الصهيونية الآن - مثلا- من خلال وعد بلفور أو بدءاً بوعده بلفور، هذه الوثيقة العبيثية المضحكة لابد أنه يضحك على نفسه، تماما كالذى يتناول حرب العراق ومجازره من خلال تصريحات السيد دبليو بوش والست كوندى .

لا أجد في نفسي ميلا إلى نقد هذا الوعد من جديد، ناهيك عن شجبه وتفنيده، ماذا فعلنا بكل ما قلنا فيه؟

يكفى أن تقرأه أنت مرة أخرى.
وأنت تبتسم،
ثم وأنت تضحك،
ثم وأنت تبكي،
ثم وأنت تستعد،

ثم وأنت تعمل شيئا آخر غير أن تقف عند وعد خريطة الطريق، وطريق الخريطة، ومؤتمر واشنطن، واحتفاليات شرم الشيخ.

.....

عذراً ، ولكن حدث أيضا في مثل "ذلك" اليوم:

كنت قد علمت لاحقا - من والدي رحمه الله- أن هذا اليوم، "2نوفمبر" هو اليوم الحقيقي الذي جئت فيه إلى هذه الدنيا، مع أنه سجلني يوم أول نوفمبر لأسباب تتعلق بمواعيد افتتاح الدراسة (كان رحمه الله مدرسا)، وكان قد فعل مثل ذلك مع أخوتي (الذنان ولدا في يوليو وأغسطس فسجلهما في سبتمبر)، كنت قد علمت هذه المعلومة قبل أن أعلم تاريخ وعد بلفور، فزاد تحفظي على هذا التاريخ وما تصلني إليه من رسائل، **وقلت لنفسى:**

وهل علاقتي بتاريخ مولدي كانت ناقصة هذه المعلومة: أنه نفس يوم هذا الوعد السخيف العبثي؟.

اعتدت أن أدعى أنني لا أحب هذا اليوم الذي زعمت أني أرفضه لأنه لا فضل لي فيه، ثم تراجعته حين أدركت قيمة الاحتفال به للأطفال خاصة، وقلت ربما نحن نعتذر لهم أننا أنجبناهم دون إذنهم، إلى آخر ما جاء في حوارى مع **شيخى نجيب محفوظ حول معنى عيد الميلاد عنده وعندى**، لكنني لم أتوقف عند هذا التراجع بل تماديت في التفكير في تنويعات حول ابتداء تشكيلات خاصة بى رحى أعبت بها مع هذا اليوم، وهذه المناسبة، إليكم بعضها:

(1) أنا أكره حكاية الهدايا في هذا اليوم، وتعان زوجتى بطيبة وكرم، من شهر معين، **لعله سبتمبر**، حيث تقع فيه عدة أعياد ميلاد معاً، مما يستتبع ذلك من ضرورة تقديم هدايا بعدد المولودين، لكنها تفرح بكرمها أكثر، قلت في نفسى: هذه مناسبة تكيد الذين يهادون مصاريف زائدة ليست في حسابهم، قد تجعلهم - لا شعورياً - لا

يرحبون بهذا اليوم برغم قيامهم بالواجب، طيب، ماذا لو قلت أنا الآية؟. وخاصة بعد أن سترها الله معى ماديا؟ ماذا لو أهديت أنا من أحب في اليوم المسمى بعيد ميلادى هدية؟ أليس هذا أضمن أن أجعله يفرح بهذا اليوم، بدلا من أن ينشغل بالتزامه بإهدائى ما تيسر، ويا ترى عنده، أم لا، وفعلتها أحيانا، ونفعت!!.

(2) حين كان يحظر ببالي أن أعطي أحد أحفادي (أو غيرهم) هدية ما ، أتعمد أن تكون بلا مناسبة، وحين يسألني أحدهم "بمناسبة إيه" هذه الهدية أقول له: هذه "هدية عيد ميلادك"، فيقول: لكن عيد ميلادي ليس اليوم، فأقول له: "إيش عرفك"، وحين تكرر هذا الموقف كفوا عن التساؤل، واعتبروا أن أية هدية مني هي هدية عيد ميلاد أي منهم بشكل ما، لأن أي يوم يمكن أن يكون هو يوم مولدنا حسب ما نقرر.

وتذكرت دعاء الاستيقاظ يومياً: "الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور"، ثم رباعية صلاح جاهين: "نهار جديد أنا قوم شوف نعمل إيه، أنا قلت يا حقتلني يا حقتلك"

(3) خطر لي خاطر آخر هو أن أهدي نفسي في هذا اليوم (أو غيره) هدية سرية لا أعلن عنها لأحد أبداً. وقد حدث لي ذلك وأنا أنهى الترحال الثالث والأخير. قائلاً: ص 221 "هكذا أمنج نفسي جائزة المغامرة بنشر هذا الكتاب".

حين يحل هذا اليوم بعد غد، وهو يوم وعد بلفور، وأنا أدخل في عامي الخامس والسبعين، وبعد أن التزمت ستين يوماً بكتابة هذه النشرة، قلت: ماذا لو كانت هذه النشرة وهذا الموقع هو هديتي لنفسى هذا العام "واللى عاجبه!!".

(4) ثم إنى عثرت حالا على قصيدتين قديمتين، وجدتهما قد اندسستا في آخر ديوان "سر اللعبة"، ثم اختفيا وراء شرحهما السخيف في كتابي دراسة في "علم السيكوباثولوجي"، فأحببتهما من جديد، وقلت أضيفهما إلى هدايا لنفسي هذا العام، خاصة وأن ما وصلني منهما جعلني أنفء وأعرف أننى يمكن أن أواجه "وعد بلفور"، بما ينبغي، هكذا!!.

القصيدة الأولى

رسالة من دون كيشوت إلى إخوان أبي لهب:

-1-

يا سادتي

'تبت يدا أبي لهب'

ماذا كسب؟

يا سادتي هذا أنا لما أزل

'ألقي السلاح؟؟'

لا .. هذى أمانيكم

(...كذا؟)

والسيد اليأس المثلّم بالعدم

يلقى التحية الشماتة الندم

على مصارع الهواء الذاهب الغقل المثيم بالأمل،

سيفى خشب؟؟!!!

خير من الحبل المسد

في جيدكم.

-2-

طاحونتي ...
عبث الهوائ بكفها
دارت تئن، توقفت
دارت
طاحونتي، ثأرى القديم
لكن روضى يرتوى من مائها
مهما علا سد الفزع
وتعثر الجرى مجدل ظنكم
لن توقفوا نهر الحياة
بل، فاحذورا طوفانها.

-3-

في روضتى
ألقيت بذرة القلق
نبئت بوجودان البشر
تحث الجنين الطين فانهار العدم.
صرخ الوليد الطفل أذن بالأم.
وتطاول الشجر الجديد
يعلو قباب الكون إذ يغزو القمر
والشوك يدمى الكف إذ يحمى الثمر
واللؤلؤ البراق فوق الساق من صمغ الضجر

-4-

ذى صرختى ..
سوط اللهب النور رعد القارعة
يكوى الوجوه ..
يا ويحكم !!
من يوقف الرجغ الصدى فى قلبكم.
ميهات إلا الموت
حتى الموت لا يخفى الحقيقة بعدنا.

..
يا ويحكم منها بداخلكم ..
نعم ... ليست 'أنا'
بل 'نحن' فى عمق الوجود
بل واهب الطين الحياة
بل سر أصل الكون، كل الكل نبض الله فى جنباتنا
ليست أنا.

-5-

يا سادتي:
هذا أنا لم أزل...
سيفى خشب!!
لكن لؤلؤة الحياة بداخلى لا تنكسر
وبرغم واقعنا الغيى
ينمو البشر...
فى ملعى.

القصيدة الثانية
دورة عباد الشمس وأهل الكهف

-1-

وطارتْ وُزَيْقُهُ،
وأخرى ... وأخرى،
وزهرة عباد شمس تهاوت إلى الغرب ..
قبل الغروب
وهبت رياح الخريف تئن
وعطت جبال الظلام بقايا القمر
وصفّر نائٍ حزين: وداعا.

-2-

وتهرب بذرة
الى جوف أرض جديدة،
لتكمن في الكهف يضع سنين قروتا
يقولون خمسة، ستة، سبعة
وكلب أمين.

-3-

وثأر قديم يثور
صحا الديناصور
وغول يداعب عنقاء وسط النمرور ،
وروح الجنين الجديد تطل خلال شقوق الضياع،
فتزد رعبا.

-4-

تبيض الحمامة فوق السحاب، وكلبهمو ...
يطارد جوع الذئاب.

-5-

وذات صباح،
تمطى الجنين،
أزاح ظلام الهروب الجبان،
ونادى الوليد العنيد على الشمس، هيا، ...
هيا اتبعيني...
نهار جديد.

أكتوبر 2007: أسبوع 4



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007

أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية للشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي



الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والمجستير التي قام بها وأشرف عليها ومشاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكوباثولوجي (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكوباثولوجيا - أغوار النفس - حكمة المهانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمّل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام - ترحلات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجره (ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعري الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والتعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويًا مثل أمس - تبادل الأئنة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس لكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتابات
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007

